

روايات عبر



مارجري هيلتون

جزيرة الأقدار



جزيرة الأقدار

الواجب دائماً مقدس... أو هكذا مفروض. لكن ماذا يفعل الانسان اذا ارتطم واجبه بعواطفه؟ وهل هناك طريقة للتوفيق بين المصلحة العملية وبين هتافات الصدر؟

هذه الأسئلة سرعان ما واجهتها لوريل دانواي لدى وصولها الى جزيرة الأقدار حيث عليها ان تقوم بالبحث عن امكانية اقامة متجع سياحي لحساب شركتها. الا ان صاحب الجزيرة الكونت رودريغو كان لها بالمرصاد، لا ليرفض عرضها وهي لم تتلفظ بكلمة امامه بل ليأسر قلبها ويأسرها... ثم يكتشف مهمتها فيطردها من جزيرته. لكن الى متى يا ترى؟

السودان ٨٠٠ م	اليمن ٤ ر	الكويت ١ د	ليستان ١٢ ل.د.
U.K. £ 150	تونس ١٥٠٠ د	الامارات ١٢ د	شورية ١٢ ل.س.
France F 10	ليبييا ١ د	البحرين ١٥٠٠ د	الأردن ٨٠٠ ف
Greece Drs 200	المغرب ٥ د	قطر ١٢ ر	العراق ٥٠٠ ف
Cyprus P 150	قصر ١٢٥ ق	عمان ١٥٠٠ ر	السعودية ١٢ ر

١ - جزيرة . . . المدير

وضعت لوريل دانواي رزمة المستندات على مكتب مديرها السيد سيرل، ثم اغلقت الآلة الكاتبة ودولابها بالفتاح واطلقت تنهيدة عميقة قائلة لنفسها بصوت مرتفع:

- آه، انتهى اسبوع العمل! هيا نستعد لعطلة الاسبوع! كانت الساعة قد شارفت الساعة مساء وما زالت لوريل في مكتب عملها. عادة ينتهي نهار العمل في الخامسة، لكن هذا اليوم كان غير اعتيادي، لخاصة في ما يختص «بالسياحة الكوكبية».

غياب مديرها بسبب المشاكل العائلية، مرض الدليل السياحي الايطالي، تأخر افتتاح فندق لارينا الجديد بسبب الاضرابات العمالية . . . وثلاثمئة سائح حجزوا في هذا الفندق لحضور الاسبوع

الأول للتدشين. ماذا سيحل بهم الآن؟ وماذا يمكن للمؤسسة ان
تقترح لهم كبديل؟ واسوأ ما في الأمر وتوتيجاً لكل ما حدث ذلك
النهار، الأخبار السيئة الآتية من سارينغا. ففي هذه اللجنة السياحية،
اندلعت الحرب. منذ أيام الطوفان والسلام يعم تلك المنطقة كيف
بامتطاعة الشركة ان تؤمن سفر السياح الستين وكلهم من العجزة
احتجزوا فجأة هناك بسبب الحرب؟

واضافة الى كل هذا، هناك مشاكل لوريل الخاصة: جواربها
النسولة، موعدها مع الباص الذي ترك المحطة من دونها وعطلة
الاسبوع... لكن هذه المتاعب الخاصة بدت ضئيلة بالنسبة الى
مشاكل العمل الطارئة. هيا اذن... اعلان هدنة... لكن ليس ما
حصل اليوم بسبب غياب مديرها...

قطبت جبينها والقت نظرة اخيرة على مكتبها قبل الرحيل. هل
فعلت حسناً في ارسال جانيت الى روما في رحلة المساء؟ وفي الاتصال
هانفياً بريمون، في طنجة، طالبة منه الالتحاق السريع بسياح
سارينغو الحانقين والمذعورين؟... من النادر ان تأخذ قرارات بهذه
الأهمية. لكن كان مفروضاً عليها ان تفعل ذلك.

وما ان اقفلت الباب وراها حتى سمعت الهانف يرن. تنهدت
وترددت لحظة ثم اخرجت من حقيبة يدها المفتاح ودخلت الى
المكتب، على استعداد لسماع كارثة جديدة. هل فيليب يتصل بها
ليدعوها الى العشاء؟ كلا، لم يكن فيليب، انما كان مديرها. لم
يلاحظ خيبة امل الفتاة وسألها:

- هل انت حرة الآن؟ هل بإمكانك مقابلتي في مطعم سكاللا في
الثامنة؟

نظرت ألياً الى الرزنامة المعلقة على الحائط وقالت بتلعثم:

- اوه... نعم.

- لا ضرورة ان تذهبي الى المنزل انا اعرف انك دائماً متأنقة في
لباسك، حتى بعد نهار عمل طويل.
اجابت بفرح لأن غوردن سيرل لا يلفظ ابداً مديحاً للمجاملة
وحسب:
- شكراً.

- انا آسف لاني لم احدد لك موعداً مسبقاً، بل اخذتك على بغتة.
لكنني بحاجة الى مساعدتك، تعالي بسرعة. خذي سيارة تاكسي.
اتفقنا؟
- طبعاً، يا سيدي.

اقلت السماعه مندهشة ثم طلبت سيارة. وبانتظار قدوم
التاكسي، دخلت الى الحمام وسرحت شعرها الطويل الذهبي
ورفعت كعكة انيقة. ثم زينت وجهها الجميل وتساءلت: ماذا جرى؟
لماذا يبدو مديرها متوتراً ومهموماً؟ ليس من طبيعته ان يكون مضطرباً
الى هذا الحد. هل اصيبت زوجته بمرض جديد؟ هل ابنته عادت
تعانده؟ ام ان الأمر يتعلق بالمشاكل المهنية؟

استقبلها غوردن سيرل امام المطعم بأناقة، لكن بوجه مشدود
الملامح. وما ان جلسا امام طاولة صغيرة منعزلة حتى دخل لتوه في
الموضوع وقال:

- كنت اتوي ان احدثك بالامر نهار الاثنين، اي بعد عطلة
الاسبوع، لكن الأمور تسوء يوماً بعد يوم، في المنزل، واضطرت
الى ان ابدل رأيي.

سكت لحظة بينما كانت لوريل تنظر اليه متسائلة، لكنه تابع
يقول:

- اعتقد انك ما زلت تتذكرين المشروع الذي كنت اخطط له منذ وقت قصير: مشروع افتتاح محطة جديدة على جزيرة «المصير» في شمال جزر الكاناري. كنت انوي ان اذهب الى هناك بنفسى خلال الاسبوع المقبل، للقيام بتحقيق واستقصاء.
دخل خادم المطعم حاملاً الطعام. فتوقف سيرل عن الكلام لحظة. ثم راح يصف لها، بفرح وحماس، الرحلة التي يمكن ان تخطط لها شركته، خلال العام المقبل، الى هذه الجزيرة، في حال نجح المشروع. ثم اضاف وابتسامة ساخرة على شفثيه:
- ربما تتساءلين اذا جئت بك الى هنا من اجل ان اقول لك ذلك... لا. للأسف، لا يمكنني ان اذهب الى جزيرة «المصير» بنفسى. واريدك ان تذهبي اليها مكاني.

باندهاش كبير، قالت لوريل:

- انا؟ والى هذه الجزيرة؟

- نعم. واريد تقريراً مفصلاً وواضحاً.

هفت تقول:

- لكنني لست سوى سكرتيرتك.

قاطعها بقوة قائلاً:

- مستدبرين هذه الأمور جيداً. انه تحقيق اولي: انظري اذا كانت

الشواطىء جميلة والسياحة غير خطيرة. تحدثي مع اهل الجزيرة لمعرفة

آرائهم عن السياحة، وبطريقة غير مباشرة تأكدي من اكتفاء الجزيرة

بالمياه الجارية. لكن واهم شيء، هو ان تحافظي على التنكر

والسرية، المنافسون عديدون ولا يجب ان يعرفوا اننا على هذه

الدرج، وخاصة في هذه الجزيرة بالذات.

اجابت بارتباك:

- انت تعرف بانني على استعداد كامل، ان افعل ما في وسعى للمساعدة. لكنني اكره القيام بالاططاء الفادحة، اذا كان الامر لا يتعلق بعملى المباشر.

- كلا. انا اثق بك كلياً. وفيما يتعلق بأمور السكن، آسف ان

اقول لك بأن الامكانيات ضئيلة جداً. في الجزيرة فندق صغير

بامكانه ان يتسع لسته اشخاص. تديره عائلة انكليزية متقاعد

عاشت هناك لسنوات طويلة. يشعر الانسان هناك وكأنه في القرون

الوسطى. زار المكان احد اصدقائي في النادي ونصحني به، لكنه

متخوف من شح المياه. لذلك اطلب منك التحقيق في ذلك فالمشروع

يرمى في البحر، اذا نشفت المياه منذ بداية الربيع.

ظلت لوريل صامتة. هل بامكان امرأة غريبة اكتشاف موارد المياه

التابعة لهذه الجزيرة؟ اي لغة يتكلم اهل هذه الجزيرة؟ الاسبانية ام

البرتغالية؟ واية اهمية في ذلك، ما دامت لا تتكلم لا هذه ولا

تلك...

قال ببطء وتردد:

- لقد حجزت غرفة لك لمدة شهر بكامله. لكن علي ان احذرك

بوجود عقبتين مهمتين...

ايشتمت بتقلص وقالت:

- قل لي الأسوأ.

- اريدك ان تصطحبي ابنتى معك.

تذكرت لوريل هذه الفتاة المدللة العنيدة، في السادسة عشر من

عمرها، التي تحمل والدها المشاكل العديدة وقالت مندهشة:

- ايفون! هل ترغب في رؤية الجزيرة؟

- للأسف لا! لكن لا ادري ما افعله بهذه الفتاة الشقية. زوجتى

متعبة كثيراً هذه الأيام وما فعلته ايفون من حماقات في الأيام الأخيرة،
اثر في زوجتي كصدمة قوية.

بلطف كبير قالت لوريل:

- انا آسفة جداً. وسأفعل المستحيل لمساعدتك.

- اعرف ذلك تماماً واكن لك بعرقان الجميل. لذا سأبوح لك
بشيء مهم... واطلب منك التكرم التام.

هزت لوريل رأسها موافقة. فأضاف يقول:

- تعرفت ايفون اخيراً الى شلة من الاصدقاء من الطراز
السيء... وتعلقت بشباب مستحيل. حاولنا كل ما في وسعنا ردها
عنه، ولكنها لم تصغ لاقوالنا.

اطلق زفرة عميقة ثم اضاف:

- علمت مؤخراً بأن هذا الشاب له علاقة بتجارة المخدرات
ولذلك اردت ان ابعدها عنه، بأي ثمن... صباح اليوم وضعتها
امام الخيار الأخرى: اما ان تصحبك لمساعدتك، او اقطع عنها
المصروف حتى آخر السنة. فرضخت للأمر لانها تحب الرفاهية، ولم
تعتبر ما قلته تهديداً في الهواء بل عرفت بأن الكيل قد طفح. هل ما
اطلبه منك الشيء الكثير؟

قبل عشر دقائق لربما ترددت لوريل. لكن غوردن سيرل تمكن من
التأثير فيها، وكرمه الطبعي دفعها من دون تفكير الى مساعدته فقالت
بحماس:

- طبعاً لا، لا تقلق علينا، فانا اكيدة من ان الأمور ستتجلى امام
ايفون. وبعد شهر من العطلة، سترى هذا الرجل بنظرة مختلفة وربما
تعود الى رشدها.

تهند غوردن سيرل وقال:

- الله يسمع منك! لكن علي ان احذرك بصراحة بأنها ليست فتاة
سهلة المعاملة. اذا رفضت بجانك، ارجو ان تسلميني بذلك،
فأعيدها الى المنزل. من المستحيل في ابامنا هذه، فرض الطاعة على
هذا الجيل من الشباب! واود ان تذهب في بداية الشهر المقبل، اذا كان
هذا ممكناً. يعني نهار الجمعة المقبل.

فوجئت لوريل لا ارادياً، فنظر اليها بقلق وقال:

- هل هذا التاريخ لا يوافقك؟

وبتردد غير ملحوظ اجابت:

- كلا.

رفضت ان تفكر بعطلة الاسبوع المقبلة التي ربما ستقضيها مع
فيليب. منذ وقت طويل وهي تكرس وقتها الحر من اجله، تبش في
المنزل بانتظار ان يتصل بها هاتفياً ونأمل في ان يدعروها الى
الخروج...
قال لها غوردن سيرل بعد تردد قصير:

- اعذريني، يا لوريل. انا اغرقتك كثيراً بمشاكلي الخاصة الى
درجة نسيت بأن لديك حياة خاصة. صديقك سيفضب مني لاني
سأبعدك عنه لمدة شهر بكامله. ربما من الأفضل ان افكر بحل آخر.
اجابته لوريل بعزم:

- لا. سأذهب بكل سرور. وعل فكرة، لم انتيرك بسد عما جرى
اليوم من امور تخص العمل...

ولما عرضت له سلسلة الكوارث التي انهمرت عليها، قالت في
النهاية:

- لم اكن قادرة ان اتصل بك في اي مكان... آمل ان يكون ما
فعلته حسناً.

ابتسم غوردن سيرل وقال:

- ما فعلته جيد جداً. لقد ارسلت جانيث الى روما وريمون الى سارينغو. كنت سأفعل ذلك لو كنت مكانك.

- كنت اخشى ان تفقد ليندا دايل توازنها في مهمتها الاولى في سارينغو.

هز غوردن سيرل رأسه وقال:

- عندما سمعت الاخبار، كانت لي ردة الفعل نفسها، وانصلت بطنجة، بعدك. لكن منذ قليل، عرفت من السلطات في سارينغو، بأن الثورة قد احبطت، وكل شيء عاد الى هدوئه في المنطقة الساحلية حيث ستصل فرقنا الصغيرة اليوم. أمل ان اعرف قريباً بأنها في طريق العودة.

شعرت لوريل بالارتياح وراحت تحسني قهوتها بفرح وافكارها تدور حول المهمة التي تنتظرها. هل مشدو بمستوى ذلك؟ من تقريرها المفصل بتقرر مصير السباح، ونجاح الشركة. رفست نظرها نحو مديرها وقالت:

- لقد نسيت يا سيدي ان تخبرني عن العقبة الثانية التي تواجهني...

- آه، نعم. العقبة الثانية تتعلق بصاحب القصر المبني في الجزيرة... ممتلكاته تشكل ثلثي الجزيرة وتقع في افضل جزء منها. ثروته وتأثيره كبيران. يجب عليك جس النبض ومعرفة ردة فعل هذا الرجل حيال امكانية ان تصبح جزيرته مركزاً سياحياً. في الواقع كل شيء متعلق بارادته الحسنة.

- هل تريدني ان ازوره؟

- كلا. ليس في هذه المرة. زيارته الآن ستكون باكرة لاوانها. لا

ضرورة لاضاعة وقته ووقتك، قبل اتخاذ اي قرار بهذا الشأن. هزت لوريل رأسها وفكرت بأنها لم تتلق من قبل امراً بتنفيذ مهمة مماثلة. وبدأت ترويق لها هذه الفكرة وتحمس لها، الى درجة انها نسيت كلياً ايفون الشقية وصاحب القصر واسراره.

سألته بصوت خفيف:

- هل تعتقد بانه سيعرقل العمل ويقيم العقبات؟
بغد تردد بسيط، اشار غوردن سيرل برأسه ايجاباً فأضافت تقول:

- هل لديك سبب معين يجعلك تعتقد ذلك؟

- كلا. انه مجرد حدس. لكنه لا يخطيء معي الا نادراً.

- وماذا يدعى هذا الرجل... النبيل الاسباني؟

- الكونت فيشيتته وودريغو دي رينزي نالديس

- أوف!...

- ربما تكون مشكلته معقدة مثل ابنتي. لكن أمل ان يكون حدسي خاطئاً هذه المرة.

- وانا ايضاً.

وفي الأيام التالية لم يتسن للوريل الوقت كمي، تتوقف ملياً وتفكر فيما ينتظرها. كان عليها ان تتدب واحدة لتحل مكانها في المؤسسة. مديرها كان مهموماً على صحة زوجته اذ طلب منها الطيبب الدخول الى المستشفى لاجراء عملية جراحية صغيرة، لا خطر على حياتها. وبالرغم من كل هذا كان غوردن سيرل ينظر الى كل ما يدور في المؤسسة، جنباً الى جنب مع سكرتيرته. اصر على ان يقدم لها مبلغاً محترماً من المال لتغطية النفقات غير المنتظرة. احتجت لوريل لكنه لم ينصح لها وقال:

- ليس وارداً ان تتحملي وحدك مصاريف الالبسة الضرورية

لمدة الإقامة.

- لكنك دفعت الفندق، إضافة الى معاشي.

- انا اطلب منك ان تكرسي لهذه المهمة كل وقتك، كما افترض عليك ابنتي ايفون... آه لو تترين ما اشتريته من ملابس لهذه الرحلة! فضت لوريل اذن نهائياً مرحباً، تخلله بعض الاضطراب، بينما كانت تتابع الملابس الصيفية، من ملابس السباحة الى الفساتين الخفيفة. لقد حذرنا مديرتها بأنها لن نجد شيئاً يناسبها داخل الجزيرة وعليها ان تشتري كل ما تحتاجه لقضاء اربعة اسابيع في الجزيرة، إضافة الى الادوية ومساحيق الزينة والافلام.

صباح الخميس، وصل السيد سيرل الى مكتبه مصطحباً ايفون معه. ثم دعا الفاتين الى الغداء. ايفون تصغر لوريل بأربع سنوات، انما تزيد طويلاً بعشر سنتين. انها فتاة جميلة، سمراء وذات شعر اسود طويل. لكنها عابسة كأنها لا تستطيع اخفاء عداوتها تجاه والدها. خلال الغداء استرخت ايفون قليلاً وراحت تعرض على لوريل لائحة مشترياتها بالتفصيل.

- لو تترين التنورة الحمراء القطنية، والقميص الناعم الكريبي، والعقد المتناسق، التي اشتريتها للمساء!

ثم نقلت الى والدها وقالت:

- يقول ابي ان الجزيرة لا تخزني على ملامه ايلية وان الفندق الوحيد الموجود هناك هو الذي سننزل فيه. لكن هذه البزة كانت جميلة الى درجة لم اقدر ان امتنع من شرائها!

قال والدها بهدوء:

- ستعطين من الجزيرة فوراً اذا ارتديت لباساً شفافاً.

سبت ايفون وقالت:

- اذا عارض احد ما سارتديه، سأعادر هذه الجزيرة اللعينة من دون ان انتظر ان يطردوني منها. ياله من مكان رهيب! ما رأيك يا آنسة بذلك؟

قالت لوريل مبتسمة:

- لنرى الجزيرة أولاً ثم نحكم عليها. لا شك ان الانجذاب الأساسي في هذه الجزيرة الشمس والطقس الدافئ. ولا شك اننا سنمضي معظم وقتنا في لباس السباحة.

أقلت ايفون نظرة من النافذة. المطر لم يكف طول النهار. لوريل اذن على حق. كل شيء افضل من هذا الربيع الرطب، العفن.

افترقت الفاتين باتفاق. وقضت لوريل فترة بعد الظهر برفقة مديرتها، في تسجيل لائحة مفصلة بالمعلومات الضرورية التي يجب ان تحصل عليها خلال اقامتها في الجزيرة. وبعد ان احتست الشاي في المكتب واكلت السندويش، عادت لوريل الى منزلها لتبدأ تحضير حقائبها.

في الثامنة مساءً، شعرت بالتعب يحتلها حتى الارهاق. لقد وضبت حقائبها ونظفت الشقة ودفعت الايجار وغسلت شعرها. فالسفر سيبدأ باكراً في الصباح التالي وعليها ان تكون حاضرة كلياً عندما يصل مديرتها مع ابنته لاخذها الى المطار.

كانت تستعد لاخذ حمام ساخن، عندما سمعت جرس الباب. وضعت مئزرها عليها واسرعت باندهاش لتفتح الباب. الرجل الذي كان ينتظرها بفارغ الصبر دخل فجأة وابتهامة واسعة على شفتيه.

وبين الفرح والرعب صرخت لوريل:

- فيليب! لكن لست...

- لا اهمية، يا حبيبي. سأنتظرك.
وبثقة تامة، مد ذراعيه وتقدم منها وقال:
- في كل حال، السنا دائماً على موعد؟
- نعم، لكن...

ابتعدت لوريل عنه بسرعة وقالت:

- لكنني لم اكن انتظرك. لقد قلت لي على الهاتف بأنك مشغول
جداً طيلة الاسبوع و...
- اعرف، يا حبيبي.

منذ ستة اشهر دخل فيليب الى حياة لوريل. انجذبته لسحره
وعينه السوداوين الواسعتين وصوته المداعب. اضاف يقول:
- تمكنت بسرعة من اثناء هذه القصة المملة مع دافري. كما اتصل
بي جاك هارفيغ ليعلمني بأن محاضرة الغد الغيت. وها انا حر
وسابقى معك حتى صباح الاثنين، يا حبيبي.
طبع قبلة صغيرة على خدها قبل ان يجتاز الصالون. لوريل صامتة
ومسمة مكانها. التفت نحوها مندهشاً وقال:

- هيا، يا حبيبي، لا تتسمري مكانك كالقصبية. الساعة الآن
التاسعة. كوني لطيفة وحضري حالك. الا اذا اردت البقاء هنا
والسهر قرب نار المدفأة. انا لست ضد ذلك... تعرفين.
قالت بسرعة:

- هذا ليس وارداً على الاطلاق! لا يمكنني الخروج معك، هذا
المساء، يا فيليب. كنت استعد لأخذ حمام ثم الايواء الى الفراش
باكراً.

كيف؟

تقدم منها بسرعة وقال:

- ما بك، هل انت غاضبة مني؟

وضع يديه على كتفيها ونظر اليها بامعان ثم قال:

- انا آسف حقاً، لكن ليست هذه غلطتي، صدقيني.

- تقول لي ذلك دائماً! الوقت متأخر وعلي النهوض غداً باكراً جداً،

لاني...

- غداً؟ غداً يوم آخر. هيا يا لوريل، اذهبي وارندي ملابس

السهرة وزيني وجهك. سأخذك الى المدينة، الى حيثما تريدن. ما

رأيتك ب...

ابتعدت عنه وقالت:

- كلا. هذا مستحيل، يا فيليب. انا راحلة غداً.

- ماذا؟ ترحلين؟ لكن لم تحدثيني عن ذلك من قبل!

- لم اعرف ذلك بنفسي الا منذ ايام معدودة. وكيف استطيع ان

اخبرك، ما دمت لم ارك منذ ذلك الحين...

زم شفني بفكاهة وقال:

- نعم طبعاً... لكن... الأمر مفاجيء حقاً. وكم سيطورا.

غيابك؟

- شهر. وربما اكثر.

ذعر بالخبر وقال:

- شهراً آه، لوريل، لا يسمعك ان تفعل ذلك معي. يا لها من

كارثة!

اندهشت لوريل ونظرت اليه متسائلة، فقال مسرعاً:

- اسمعيني، انا مدعوان خلال عطلة الاسبوع المقبل عند جاك

هارفيغ في منزله الريفية. انه شرف كبير ان يدعوني الى منزله. آه،

لوريل، عليك ان تعودتي قبل آخر الاسبوع المقبل.

عضت لوريل على شفيتها وقالت:

- هذا مستحيل. كل شيء منظم. ثم انا لا اعرف هذا الرجل.
لماذا دعاني؟

- لم تفهمي بعد. بالنسبة الي، انها مناسبة نادرة وحظ يفلق الصخر. سالتني في منزله بأشخاص ذوي اهمية كبرى. كما ان هذا يعني ان جاك بدأ يعرف قيمتي. طلب مني ان اصطحب معي فتاة وفكرت بك. لم اكن اتوقع ان...

- انا آسفة، يا فيليب. انا مسافرة في عمل ولا يمكنني ان انسحب الآن منه. اذا اردت، بإمكانني ان ارسل لمديرك رسالة آسف واعتذار.

- لكن جاك يريد ان يراك انت. لقد حدثته عنك. انت من نوع النساء الذي يجب ترتدين باناقة وتشعرين بارتياح مع الجميع وتعرفين ان تحفظي مكانك دائماً. هذا امر مهم جداً بنظري. والآن ترحلين... هكذا!

لم يلاحظ فيليب النار الساخنة في عيني لوريل. قالت له:
- اسمع، يا فيليب. لقد قلت لك بأنني آسفة. وهذا يكفي الآن. لن اغبر مشاريعي في اخر لحظة بسبب دعوة من شخص لا اعرفه، حتى ولو كان مديرك بالذات. ولا اري لماذا وجودي سيسهل عليك العمل.

- اذن، حان لك الوقت ان تفهمي ذلك. في مؤسستنا، المرأة القديرة ورقة نادرة لنجاح الموظف الصغير. اعتقدت بأنك مصرة على البقاء معي وبهمك امري، لكنني كنت مخدوعاً، على ما اظن.

نظرت اليه لوريل بصمت. لكن غضبها جعلها تقول:
- نعم، كان يهمني امرك، كما انني وقعت في حبك اول مرة

رايتك. لكن هذا الامر لا يهمك، على ما اظن. ما تريده هو امرأة قادرة على نيل رضى مديرك، امرأة تسمح لك ان تنجح في مهنتك. اذن، لقد اخطأت الاختياراً

وببطء اجتازت الغرفة وفتحت الباب وقالت:

- اعتقد اننا قلنا كل شيء، يا فيليب.

نظر اليها فيليب غير مصدق وتقدم منها وقال:

- لوريل، لا... لا تعرفين ما تقولين؟

- بلى اعرف.

- نحن نحب بعضنا وتعترفين بذلك بنفسك. وانا باستطاعتي ان

ابرهن لك عن حبي.

ابتعدت عنه وقالت بلهجة باردة:

- كلا. لم اعد قادرة على انتظارك وراء آلة الهاتف، وابتلاع

اعتذارك وان اكون حاضرة كلما واجهت مشكلة في عملك. انتهى

كل شيء!

- الم تفهمي بأنني كنت اعلم من اجلنا، من اجل مستقبلنا. ومتى

وجدت بأن عملي مستقر، سأطلب يدك. مستخدمين على ذلك، يا

لوريل...

هزت رأسها وبدأت ترى الأناية المخيفة وراء سحر فيليب.

صحيح ان الطموح فضيلة، لكن لوريل تريد أكثر من هذا، من

رجل حياتها.

قال بلهجة عابسة:

- اضيع وقتي في مناقشتك. لست في مزاج جيد يسمح لك

بالاصغاء الي هذا المساء. فكري جيداً. مساء الخير، يا لوريل.

هذا يعني بأنه مستعد ان يسامحها اذا ما اعتذرت منه. اكتفت

بقول «مساء الخير». القى فيليب نظرة غاضبة ثم اقفل الباب وراءه بقوة. سمعته يهبط السلم ويصنع باب المدخل العام. تنهدت وتابعت عملها من دون حيرة. انتهى كل شيء بينهما.

لكن، بما ان وضعت رأسها على الوسادة، في السرير، حتى راحت تبكي طويلاً في العتمة. هذا اللقاء الأخير مع فيليب اقلقها كثيراً. وتذكرت لوريل تحذيرات غوردن سيرل في ما يتعلق بإيفون وصاحب قصر جزيرة «المصير»... هل ستكون على قدر واسع لمجابهة المشاكل التي تنتظرها هناك؟

شعرت بالوحدة والقلق وظلت مضطربة في سريرها مدة طويلة قبل ان تنام...

٢ - الغريقة

www.rewity.com/vb

- آه ، دعيني وشأننا

صرخت ايفون بهذا الكلام وصعدت الى الارجوحة. نظرت اليها لوريل بارتباك عندما لاحظت بزة السباحة الوقحة التي ترتديها الفتاة. آه، بدأت المشاكل فعلياً. منذ وصولها الى الفندق، كانت لوريل تشعر بقدم العاصفة، لكنها حاولت جدها كي تتحاشاها. ربما ايفون متزعجة من الطعام او من كثرة تعرضها للشمس، فقالت لها:

- لا تبدين على ما يرام، يا ايفون...

- آه، هذا له مبرره. انني امل هنا حتى الموت! وصلنا منذ ثلاثة ايام وكل ما نفعله هو ان نغشي ونغشي في هذه المنطقة المعزولة، حيث

لا شيء يستحق المشاهدة. آه... «جزيرة المصير»! هذه التسمية تضحكني. من الأفضل لو اطلق عليها اسم «جزيرة اللعنة»!
- لا تتكلمي بصوت مرتفع، يا ايفون. لماذا لا تكوني صادقة مع نفسك. قبل مجيئك الى هنا كنت تعرفين بأنه مكان هادىء ولا يؤمه السياح.

انفجرت ايفون قائلة:

- آه، نعم. انه مكان هادىء حتى الموت. انها مقبرة حقيقية! اما في ما يتعلق بالسياح... في هذا المكان القاحل، ربما انا وحدي التي ما تزال على قيد الحياة.
قالت لوريل بجفاف:
- شكراً لي.

- عندما افكر بالكولونيل كارلتون وبزوجته المسكينة... هذان العجوزان التعسبان! هولا يتحدث الا في السياسة وهي تظمن بجيل اليوم. والسيد بينكلي المقيت الذي يحاول ان يقرصني في فخذي عندما لا ينظر اليه احد والآنسة جيسوس التي تقضي وقتها تتذمر من غلاء المعيشة! وتحديثي عن اللهوا

- الآنسة جيسوس امرأة مسكينة. لقد فقدت اخيراً صديقتها الحميمية وتشعر بالوحدة الآن. بإمكاننا ان نكون في رفقتها من وقت الى آخر.

- شكراً. عليها ان تجد صديقة اخرى غيري، مملة وخشنة مثلها. شعرت لوريل بالغضب بحتلها، فقالت بقسوة:

- اسمعيني. لا تنسي بأنني جئت الى هنا للقيام بعمل معين وان والدك يدفع لي معاشاً من اجل ذلك.

- لا احد يمنعك من القيام بعملك. لكن اطلب منك ببساطة الا

تدخليني في شؤونك المهنية.

- وماذا ستفعلين بدورك؟

- آه، لا تقلقي علي. سأستحم في البحر او سأقرأ. لكن ليس وارداً ان امشي بتسكع عبر الجبال والوديان. لقد تورمت قدماي من جراء اللحاق بك.

- لو انتعلت حذاء متيناً لما عانيت من اي ألم.

- لقد اشتريت هذه الصنادل لهذه الرحلة واصر على انتعالها. اطلقت لوريل زفرة عميقة وعرفت ان الكلمة الاخيرة ستكون لايفون. وما العمل؟ عليها القيام بالمهمة الموكلة اليها. وايفون مصرة على عدم مرافقتها في استكشاف الجزيرة. حاولت مرة اخرى اقناعها، فقالت:

- انا اجد متعة في اكتشاف جزيرة مجهولة. اعترفي بأن المنظر رائع وخطاب.

- نعم انت على حق. لكن اذهبي من دوني، ارجوك. في هذه اللحظة ظهرت روزيتا، خادمة الفندق، حاملة سلة على ذراعها واجتازت الحديقة باتجاه الفتاتين. ثم قالت:

- هذه زوادتكما!

اعطت السلة للوريل واتجهت نحو الحديقة الممتدة وراء البناء الطويل الابيض. لم تكن لوريل تعرف ما ستفعله، وتبعت بنظرها الخادمة باللباس الأسود وهي تعبر الباب الحديدي. لمحت وراء السياج رينالدو، الخادم الشاب، بشعره الاسود وعينيه المخمليتين والابتسامة الساحرة! الكولونيل كارلتون يعتبره شاباً دخيلاً، اما السيد بينكلي فيستغرب كيف يوظف الانكليز شخصاً لا يتكلم الانكليزية الصحيحة.

حدثت ضجة صغيرة وراء السياج وسمعت الصرخات... ثم عم الصمت قليلاً، وظهرت روزيتا من جديد، حمراء الوجه ومشعنة الشعر، واختفت داخل الفندق. صفت الباب، فابتسمت لوريل وعادت الى وعيها وقالت وهي تدل الى السلة:
- لكن... وغداؤك. لقد قلت بأننا سنقضي النهار معاً خارج الفندق.

تساءلت ايون وقالت:

- وماذا بعد! لا تقلقي. لن ادع نفسي اموت جوعاً.
- اشك بذلك. من الافضل ان اعلم السيدة أين يقاؤك هنا.
- سأتكفل بذلك بنفسي. لدي لسان واعرف ان اتكلم.
- حسناً. لا تنسي الاعتذار ولا تستحمي في البحر مباشرة بعد الغداء، هل فهمت؟
وضعت ايون يدها على قلبها وقالت بسخريّة:
- اعدك واقسم لك.

ترددت لوريل لحظة. لماذا تشعر بعدم الارتياح؟ ماذا سيحل بايون اذا بقيت هنا؟ هل ستغرق ام تقع عن الصخرة؟ ما دامت ايون ترفض مرافقتها، فلا داعي للاصرار اذن.
اجتازت باباً صغيراً محفوراً في الجدار المرتفع الذي يحيط بالحديقة واخذت ممراً نحو منحدر التلة، ثم انعطفت في ممر آخر بعد ان تبينت خطوطه على الحارطة التي بدأت في تصميمها. هل سيقودها الممر الى طرف الجزيرة المخبأة وراء التلة، ام ستصل الى القصر الذي تراه من كل مكان؟

كيف سيكون منظر صاحبه النيل؟ بدأت تفكر بان مديرها وقع اختياره على هذه الجزيرة خطاً، فالجزيرة خاوية من جميع وسائل اللهو،

لكنها تناسب تماماً السياح الذين ينشدون المدوء والهواء الطلق. الشمس تسطع باستمرار، وريح البحر تخفف من حدة الحرارة. على بعد دقائق قليلة من الفندق شاطئ رائع ومحمي يقع على الساحل الشرقي من الجزيرة. بينما في الجانب الآخر، رياح المحيط الاطلسي تجعل السياحة مستحيلة.

داخل الأراضي توجد امكانيات عديدة للتنزه وسط المناطق المشجرة، والوديان التي تسير فيها الانهر. ومن التلال يبدو المنظر رائعاً، مطلقاً على الافق المتلألئ. في هذه القرية الهادئة، النساء امام عتبة المنزل تعملن على التطريز والحياكة. الفاكهة متوفرة بغزارة. السمك وفاكهة البحر لذيدة الطعم والهواء المعطر منعش ومنشط. يبقى للوريل ان تكتشف اذا كانت موارد المياه كافية واذا كانت

الأرض صالحة للبناء والسكن. حتى الآن لم تر ارضاً مناسبة، لكن ربما في الجهة الاخرى من الجزيرة...
الممر يتعرج ببطء على التلة. ومن حين الى آخر تظهر غابة صغيرة، ويصبح بإمكان لوريل ان ترى من بعيد العرائش واشجار الحمضيات التي تشكل موارد الجزيرة الاساسية.

وحوالي الحادية عشرة اعتقدت لوريل بأنها قطعت نصف الطريق تقريباً. فجلست على صخرة دافئة واعطت لنفسها عشر دقائق للراحة. اكلت تفاحة وشربت ماء ثم عادت تسير باتجاه القصر. كانت الساعة قد اصبحت الواحدة عندما وجدت نفسها في مكان متشعب الطرق. الى اليمين، الطريق تضيق بين التلال والى اليسار، تصل الى شاطئ رملي محمي بصخرة عالية. ومن دون تردد اختارت الاتجاه الثاني.

الشاطئ كان فارغاً من اي كائن حي. جلست لوريل بارتيح

على الرمل الاصفر وانكأت الى صخرة وفتحت السلة، ووضعت
محتوياتها على شرشف خاص. الهدوء تام. تهباً للوريل انها الكائن
الحمي الوحيد على مسافة كيلومترات عديدة. لا عواء كلاب، ولا
صراخ اولاد ولا صوت المذياع... انها الجنة... ملجأ رائع
للعشاق!

شعرت بالنعاس، فتمددت لحظة واغمضت عينيها وقررت عدم
البقاء هنا مطولاً، فما زال امامها عمل كثير. ولما نهضت اخيراً
لاحظت ان ساعة بكاملها قد مضت. الطقس حار والتعب اضناها
ولم تشعر برغبة في متابعة الطريق. وضعت بقايا الطعام داخل السلة
وراحت تتأمل المحيط. كم المياه مغرية!

خلعت حذاءها واسرعت تبلبل قدميها بماء البحر. وشعرت
بانعاش كبير. انها ترتدي بزة السباحة تحت ملابسها. نظرت
حولها. لا اثر لاي مخلوق، ولا ترى امامها سوى القصر. ولا شك
ان سكانه يخلدون الى النوم اثناء القيلولة وفي هذا الوقت الحار من
النهار.

بعد تردد خلعت لوريل فستانها ودخلت في الماء بيزة السباحة
وراحت تسبح في المحيط. تتقدم ببطء وكسل، عيناها مغمضتان
تتمتع بالمياه المنعشة الصافية. وراحت تففز كالشقية وتسبح تحت الماء
ونسيت الوقت كلياً.

اخيراً شعرت بالتعب، وطافت تحت السماء الزرقاء. لكن فجأة
تذكرت هدف نزهتها والقت نظرة قلقة نحو الشاطئ. السلة
والملابس ما زالت مكانها حيث تركتها على الشاطئ. القاحل.
تذكرت فجأة انها لا تحمل منشفة. لا اهمية مستجفف حالها تحت
الشمس وتلف شعرها بمنديلها القطني. انجهدت نحو الشاطئ وفجأة

كاد ان يغمى عليها من الخوف عندما لاحظت انها ليست وحدها.
هناك انسان يسبح... بعد ثوان معدودة لاحظت بأنه رجل.
فتحت فمها هلعاً، فشربت بعض الماء وغطست تحت الامواج. ثم
صعدت الى السطح، لاهثة. احتلها الخوف وانحرفت نحو
الشاطئ.

- سينيورا! سينيورينا!

ولدى سماعها هذا الصوت القوي، اسرعت في حركتها. من
اين جاء هذا الرجل؟ لم تره يصل. هل كان يراقبها منذ فترة طويلة؟
هل قرر بانها فريسته التي يعلم بها؟ القت نظرة سريعة خلفها
وارتعبت. انه يسبح وراءها وكأنه يتبعها.

- توقف يا سينيورينا! انتبه!

لا مفر من الابتعاد عنه. غمرت البحر كالمجنونة تطلب من السماء
ان يتعب الرجل قلبها ويتخل عن متابعتها. وللأسف، سيل من
الكلمات الغامضة تملو صداها في الماء. اصبح قريباً منها. توقفت
ثانية، لاهثة وقالت بحسرة:

- اذهب من هنا، ارجوك!

- يا الهي! انت انكليزية... لم افطن لذلك ابداً!

هل هذا الرجل مجنون؟ لقد اجتازت اميالاً عديدة، من اين انتها
القوة لعبور كل هذه المسافة؟ اصبحت الماء باردة وهائجة. قامت
بجهد قوي لئلا تسلم للخوف. ايها افضل: ان تموت من التعب
ام ان يلتقطها هذا الاسباني الغريب... فجأة شعرت بألم في
الكاحل سرعان ما امتد الى كل انحاء جسمها، فجن جنونها ولم تعد
تعرف ماذا حل بها. سبحت مكانها لحظة قبل ان تغرق متتجة:
اصابها تشنج قوي.

عادت الى سطح الماء، تحاول ان تجد شيئاً تتعلق به. اذناها
تطنطنان ورأسها على وشك الانفجار، تسمع بغموض صوت الرجل
الذي يتبعها. امسكتها يدان قويتان ودفعتاها ففرقت مرة ثانية.
الويل له! هذا الرجل الغريب يحاول اغراقها...

صرخ الرجل:

- لا تخبطي اني لا انوي قتلك.

راحت تصرخ:

- النجدة! النجدة!

سمعت قبل ان تختفي من جديد في الامواج العالية:

- اذا استمررت على هذا المنوال، سنغرق معاً.

انها تحتنق. وشاح اسود مر امام عينيها. لكن فجأة،

وكالاعجوبة، وجدت نفسها تتنفس الهواء. الشمس اعمتها. فوق

رأسها بدت السماء نقطة زرقاء لا حدود لها. الرجل وضع يده تحت

ذقنها وجرها بعيداً عن الامواج. فجأة شعرت بأنها دموية وتخلت عن

اية مقاومة بدافع البقاء.

سحبها الرجل نحو الشاطئ، رافعاً رأسها لثلاثي ثلغ الماء. ولما

شعر بالأرض تحت قدميه، وقف وحملها بين ذراعيه وصعد بها الى

الشاطئ ومددها فوق منشفة زرقاء، رافعاً رأسها قليلاً. ثم انحنى

فوقها محاولاً القيام بالتنفس الاصطناعي. لكن ما ان وضع يديه على

ظهرها حتى شعرت بقشعريرة عنيفة وتفوقعت على نفسها مذعورة

نعي ما جرى لها بوضوح.

جلس قريبا بوجه قاس وراح ينظر اليها وهي تسعل وقال:

- حسناً، ما دمت تفضلين ان تتدبري امورك بنفسك...

تمكنت من القول:

- اذهب عني!

- كيف تستطيعين المناقشة ورتناك مليتان بالماء؟!

ويحركة قاسية لفها بطرف المنشفة. لم ترد عليه من شدة الخجل.

ولما اصبح باستطاعتها ان تستعيد انفاسها، شعرت بضعف قوي

وراحت تمسح الدموع المتساقطة من عينيها الحمراءين.

- اذن، الظاهر انك تشعرين بتحسن.

كان يتكلم بجفاف وغضب. هزت لوريل رأسها. شعرها

الاشقر يلتصق بوجهها وعنفها. سمعت الصوت الجليدي يقول

بالحاح:

- ربما تشعرين الآن بتحسن لنشرحي لي اسباب تهورك الجنوني؟

ادارت رأسها نحوه وقالت:

- تهوري؟ لكن... لكن انت الذي بدأت! انها غلطتك لو...

ولما التفت بنظرانه المتعالية، بدأ صوتها يرتجف واختفى. لأول مرة

تراه بوضوح. رأسه مليء بالكبرياء، ونظرتة متعجرفة. يرتدي بزة

مباحة حمراء تظهر سمرة الفاقعة. قال بعدما حدق بها مفصلاً:

- اذن... ستهمينني بماذا...؟

- كنت اسبح بهدوء الى حين وحت تتبعني و...

- اتبعك! لماذا رفضت الانصياع الى تحذيراتي؟ كدنا نغرق معاً

بسيك!

حدقت لوريل باندهاش وقالت:

- اي تحذيرات؟ كيف تجرؤ ان تتهمني، بينما كنت طول

الوقت...

قاطعها بلهجة قاسية:

- كنت احاول ان ادلك الى الخطر الذي ينتظرك. بدأت اندم الان

لتدخلني في الامر. نعم، لا اخترع شيئاً، الخطر كان محتوماً... كنت تخالفين...

قالت وهي ترتجف من البرد:

- قبل مجيئك، لم يكن الخطر وارداً اطلاقاً.

- صحيح، اذن، اسمعيني لحظة من فضلك. هذا الخليج يبدو بمنظرك مثالياً ورومنسياً، اليس كذلك؟ البحر ازرق ومغر والرمل ناعم واشقر. نعم، بإمكان المرء ان يسبح هنا بامان... شرط الا يغامر قرب الاعصار.

انتفضت لوريل، فابتسم الرجل بسخرية وقال:

- بدأت تفهمين، اليس كذلك؟

قالت متلعثمة:

- هل هناك دوامة حيث كنت؟

- نعم، مباشرة قبل اللسان الجلي.

تجمد دمها في عروقها وقالت:

- لم اكن اعرف ذلك.

- ولماذا تجاهلت تحذيراتي اذن؟

- لم افهم ما كنت تقوله. اعتقدت ان...

- آه، تصورت بازي اتبعك لغرض شنيع؟

- ضع نفسك مكاني!

نظر اليها بسخرية وقال:

- اعرف بأن الفتيات الانكليزيات لا تبالين بالاعراف. ووجودك هنا وحدك في هذه المنطقة النائية لا مبرر له. ما هي نواياك؟

- آه، لا، يا سيدي. لو كنت اعرف...

- دعينا من هذا الحديث، يا آنسة.

كيف ستتخلص منه الآن؟ هل يجب ان تشكره لانه نجاها من موت اكيد؟ رفعت عينيها نحوه وقالت:

- انا... انا لا اعرف لغتك ولم افهم ما كنت تقوله.

- لا اريد التحدث بهذا الموضوع بعد الآن.

اضطربت لوريل وارفع الدم على خديها الشاحبتين وقالت:

- لكنني مصرة على ان اشكرك... لانك انقذت حياتي.

قام بحركة ليفرض عليها الصمت وقال:

- هل تشعرين بتحسن الآن؟

- نعم. ويجب ان ارتدي... الآن... ملابس...

- نعم، نعم. انا لست احق.

نهضت وقالت بغضب:

- انت وقح!

شعرت بالارض تدور حولها وتمايلت وكادت ان تقع لو لم يلتفتها ويشدها اليه ويقول:

- انت ما تزالين تحت تأثير الصدمة. اجلسي وقولي اين وضعت

ملابسك. سأذهب واجلبها لك.

ما العمل، غير الطاعة؟ بعد لحظات عاد حاملاً السلة والملابس.

ثم قال:

- والآن، مأسبح. وانت ارتدي ملابسك. لا تقلقي ولا تخافي،

لن اح عليك بلطفي.

نظر الى ملاحظها الشاحبة والمشدودة وقال:

- بصراحة، منظرك الآن ليس مثيراً، صدقيني. ولا ارغب في

تمثيل دور المتصلص.

وقبل ان يتسنى لها الوقت ان تقوم بردة فعل حيال هذه الوقاحة

الزرقاء، يضعها على كتفه ويأخذ الاتجاه المعاكس.
وراح قلبها ينبض بسرعة. واضطرب عقلها وظلت تتبته بنظرها
مدة طويلة...

٣ - خاتم وليل وحصان

www.rewity.com/vb

لدى وصولها الى الفندق كانت لوريل مرهقة كلياً. في الطريق
توقفت عدة مرات. والان لا تستطيع ان تقوم بخطوة اضافية من
دون ان تقع ارضاً.

كان الليل قد حل وشعرت بارتياح عندما رأت اخيراً المصابيح
الحديدية تبث نوراً آمناً. وبصعوبة كبيرة اجتازت لوريل الشرفة
الفارغة لتضع السلة على باب المطبخ. لا تطلب اكثر من حمام ساخن
لتريح ساقها المتألمتين، ثم النوم الباكر. ولحسن الحظ، الفندق لا
يتبع النوقيت الاسباني، والعشاء يقدم في الثامنة بدل العاشرة، كما هو
التقليد في اسبانيا.

كانت تجتاز البهو عندما سمعت صوتاً يناديها. انها السيدة آلين،

زوجة صاحب الفندق. وعلى مضض توقفت. اشارت لها المرأة بالدخول الى الصالون الخاص، قائلة بصوت منخفض:

- لو سمحت بلحظة، يا آنسة. لدي شيء سأقوله لك. طبعاً.

تبعته لوريل الى الغرفة الصغيرة، محاولة اخفاء تعبها وقلقها.

هل حصل شيء ما لايفون في غيابها؟

سألت بقلق:

- ماذا جرى؟ حادث ما؟

اشارت السيدة آين بعلامة النفي، لكن تعبير وجهها لم يكن مطمئناً، وما ان جلستا حتى باشرت السيدة الحديث قائلة:

- لا اريدك ان تعتبري كلامي عن سوء ظن. ومن مبادئي الا

اندخل في شؤون النزلاء... لكن هذه المرة اعترف بأنني منزعة جداً...

تقلصت يدا لوريل على طرف المقعد وسألتهما:

- لماذا اذن؟

يا الهي، هل وصل خبر مغامرتها الى الفندق؟ هل هناك شكوى

ضدها؟

تلعثت وهي تضيف:

- ماذا... ماذا حدث؟ ماذا فعلت؟

- آه، يا آنسة، الامر لا يتعلق بك انت! لو كان جميع النزلاء لطفاء

مثلك، لكنت حياتنا عذبة! للأسف، المشكلة تتعلق بالآنسة

سيرل.

ماذا فعلت هذه الابنة المدللة؟

تابعت السيدة كلامها وكأنها تعتذر:

- اعرف جيداً بأنها ما زالت صبية ولا تفعل الا ما يدور في رأسها، لكنني اعتقد انه من واجبي ان احذرها.

- ضد ماذا؟

- انها تتصرف بطريقة تافهة وحمقاء مع احد العاملين هنا، الم

تلاحظي ميلها الواضح الى رينالدو؟

تجهم وجه لوريل وقالت:

- لا... كيف اشك بذلك؟ لقد وصلنا منذ ثلاثة ايام فقط،

وهذه اول مرة اتركها وحدها...

قالت السيدة آين بلهجة قاسية:

- اذن فهي لم تضع وقتها. لقد فاجأتها في الحديقة آه، لا

نقلقي... لا شيء يدعو الى القلق... لكن يتهيأ لي انها امضيا

فترة بعد الظهر معاً على الشاطئ... المشكلة تحصل بسرعة...

رينالدو شاب وسيم. لكن الفتيات الاسبانيات لا يتصرفن عامة بهذه

الطريقة. آه، لا اعرف اذا كنت تفهمين ما افصده. السياحة لم

تفتح الجزيرة بعد. في كل حال الكونت يمنع ذلك. نحن بعيدون

جداً عن الوطن. الأم وما زلنا نعيش هنا كما في العصر الماضي...

لوريل تصغي بشرود لشدة تعبها والسيدة آين تتابع قائلة:

- جزيرة المصير ملكية اسبانية منذ اربعمئة سنة تقريباً، وحاكمها

الحقيقي هو الكونت... يعيش في القصر الذي يسيطر على الجزيرة

كلها. لا يسمح بالتطور والائتماء الا تدريجياً - لدينا مستشفى صغير

حديث الطراز، ومدرسة جديدة. الفقر غير وارد عندنا... لكن

الباقي...

رفعت السيدة آين كتفها باناقة، فهزت لوريل رأسها موافقة بينما

كانت تفكر بشيء آخر. تابعت المرأة تقول:

- ولهذا السبب اطلب منك ان تتحدثني مع الانسة سيرل . حاولي ان تفهميها بأن سكان الجزيرة سيعتبرون تصرفها هذا فاسقاً . بالنسبة اليهم ، تنقص قيمة الفتاة اذا تصرفت برواحة مع الرجال . اما الصبيان بدورهم فلا يتلمزوني ابداً ، بل بالعكس ، خاصة امثال رينالدو الذي قضى مواسم السياحة على شاطئ الكوستا برافا وعاد لبيته بانتصاراته النسائية . لا نريد شيئاً كهذا هنا . قضية آل سميث تكفيننا . . .

حبست لوريل انفاسها وبتهذيب ولبس عن فضول ، سألتها :
- آل سميث اتوا الى هنا لتمضية بضعة اشهر مع ابنتها الوحيدة ، التي ولدت بعد زواج دام عشرين سنة . ربيها تربية صارمة وجدية . والسيدة سميث جاءت لتقضي فترة النقاهة في هذه الجزيرة بعد مرض طويل . ولم يسبق للابنة ان رأت من قبل شاباً وسيماً مثل رينالدو . وسرعة وقعت في غرامه . وصل السيد سميث الى هذه الجزيرة مع زوجته وابنته وبقي معها اسبوعاً واحداً ثم عاد الى لندن لتابعة اعماله . لكن عندما جاء ليصطحبها الى بلاده في الوقت المحدد ، كانت المصيبة قد حلت !

- ماذا حصل ؟

- حملت الفتاة !

- وهل حصل ذلك هنا ؟

- نعم . رينالدو اعترف بمسؤولية ما حدث . لقد ارتمت ساره في احضانه . ومع انه طلب يدها ، لكن السيد سميث رفض باصرار . لم يسمح لابنته الوحيدة ان تعقد زواجاً جريباً وهي ما تزال في السادسة عشرة من عمرها . وسرعة حمل السيد سميث عائلته وعاد بها الى لندن . بعدئذ لم نسمع باخبارهم . اتساءل احياناً ما حل بساره . . .

والاهم ان الكونت كان حانقاً جداً . . .

وبعد هذا السرد الطويل توقفت السيدة آلين عن الكلام ، لاهثة .

اما لوريل فكانت تفكر بما سمعته . نهضت وقالت :

- اشكرك لتنبهني لما حصل . سأحدث في الامر مع ايفون .

في اعماق تفكيرها تعرف لوريل بأن كلامها مع ايفون لن يجدي نفعاً . في كل حال ايفون ليست فتاة بسيطة وساذجة وتعرف ما ينتظر منها في حال قامت بمغامرة عاطفية .

غيرت السيدة آلين الموضوع وسألتها :

- هل قضيت نهراً جميلاً ؟

- نعم . والان اعذرني ، انا متعبة واريد ان آخذ حماماً ساخناً .

لكنها ادركت ان الوقت لن يسمح لها بأخذ حمام طويل ، بل اكتفت بدوش سريع . التعب يضيئها لكنها قررت توضيح الأمور نهائياً مع ايفون من دون تأخير ، فذهبت للتفتيش عنها . لكنها لم تجدها . ومن باب غرفة الطعام رأت رينالدو يضع الصحون على الطاولات ، فشعرت بارتياح وراحت تغير ملابسها .

فوجئت لوريل بوجه ايفون وشعرها المشعث عندما افتتحتها الى صالة الطعام . بالكاد ذاقت وجبة الدجاج ونصف الحلوى ، ودفعت فنجان القهوة جانباً .

انحنت لوريل نحو الفتاة الشاردة وسألتها :

- ماذا جرى ، يا ايفون ؟ لم تأكلي شيئاً .

- لست جائعة .

- هل الأمور سيئة الى هذه الدرجة ؟

انفضت ايفون بانزعاج وقالت :

- نعم . واذا كنت تريدون معرفة كل شيء ، فانا اعاني من آلام

المغص ومن ألم حاد في الرأس. سأتركك واذهب الى فراشي.

خرجت من الغرفة كالصاعقة. التفتت الوجوه اليها، وزوجة الكولونيل عبرت عن استيائها بحركة من رأسها.

وما ان انتهت لوريل من احتساء القهوة حتى نهضت بدورها. هذا المساء لن تخرج الى الشرفة للقاء بقية نزلاء الفندق، كما هي عادت بل صعدت الى غرفتها الواسعة التي تتقاسمها مع ايفون، مصممة على اعطاء ايفون حبة اسبرين مع فنجان شاي.

دخلت الغرفة على رؤوس اصابعها. الغرفة مظلمة. اقتربت لوريل ببطء من سرير ايفون وانحنى فوقها وسألته بصوت منخفض:

- هل تريدين شيئاً؟
لا جواب. وجه ايفون تحت الوسادة وتنفسها متناسق. كانت تنام نوماً عميقاً.

نظرت لوريل الى ساعة يدها: انها التاسعة، ترددت. الوقت ما زال باكراً للجوء الى النوم، لكنها متعبة جداً. خرجت الى الشرفة. في النهار يبدو المنظر رائعاً مطلقاً على البحر. لكن هذا المساء، القمر هلال والجو غامض. مصابيح الحديقة تبث نوراً شحيحاً فوق التماثيل والقوارير الفخارية والشجيرات المثورة فوق العشب الأخضر. الفراشات ترغمي على الزهر وغناء زيزان الحصاد يقطع الصمت الليلي.

وامام هذا الجو الرومنسي بدأت لوريل تحلم... حلمت بأن فيليب هنا، قريباً... بأنها اخطأت تجاهه... بأنه يجيها حقاً... ليلة الكارثة انمحت وعاد السلام كما من قبل.

اغمضت عينيها وهي تفكر به، لكن لم يكن وجه فيليب ما رأت... بغضب شديد دخلت الى غرفتها. الا يكفي ان فاجأها هذا الرجل الغريب وحيدة في الماء وعرض حياته للخطر. انه الآن يحتل افكارها... حاولت لوريل ان تطرد صورته من ذهنها، فراحت تخلع ملابسها وتسرح شعرها وتعلم اغراض ايفون المبعثرة على البساط. ثم دخلت الى فراشها. لكن النوم طال: حوادث النهار ظلت تدور في رأسها كشريط سينمائي. ترى الشمس الحارقة والماء الشفاف والرجل الغريب المتعجرف بشعره الأسود وصوته العميق. الشمس والملح وذكرى ذراعي الرجل، كلها تحرقها بنار غريبة... وبعدها تقلبت في سريرها مرات عدة، تمكنت اخيراً من النوم. لم تعد تسمع الأصوات الآتية من طرف الغرفة.

القت ايفون نظرات ارتباك على لوريل النائمة، ورفعت اغطيبتها وارادت ملابسها بسرعة. نظرت الى ساعتها المعلقة بسلسلة في عنقها، ثم حملت صندوقها، وعلى رؤوس اصابعها خرجت من الغرفة.

عندما انغلق الباب وراءها احدث ضجة صغيرة، فانزعجت لوريل في نومها، وجلست في سريرها واضاءت المصباح. ولما لم ترى ايفون في سريرها، قفزت بسرعة وفتحت الباب. شاهدت ايفون على السلام، فأسرعت نحوها وسألته:

- ما بك؟ هل انت مريضة؟

- لا. عودي الى فراشك!

- الى اين ذاهبة؟

غضبت ايفون وقالت:

- اخفضي صوتك. ستوقظين الجميع. انا نازلة الى الطابق

الأرضي فقط .

- ولماذا اذن؟ لماذا لم توقظيني؟ جلبت لك ما . . .

ولما رأت ايفون تهبط السلام حافية القدمين، تبعتها وهمست تقول:

- لماذا ارتديت ملابسك؟

- لانني خارجة . حاولي ان تمنعيني ! فهمت؟

امسكت لوريل بمعصم ايفون وقالت:

- اريد تفسيراً مفصلاً . ماذا جرى؟

- لا شيء .

في هذه اللحظة انفتح الباب على الممر وخرج منه السيد بينكلي الذي قال:

- ماذا يجري هنا؟ آه، آه . . . فتانان جميلتان ! هل انتما ذاهبتان الى

موعد جميل؟

صرخت ايفون:

- اوف . يا لحظي السيء !

عادت الى الورا ومرت قرب الرجل المعجوز ثم دخلت الى غرفتها وصدفت الباب . بعد تردد قصير تبعتها لوريل والاحمرار يعلو وجهها . . .

ارتمت ايفون في سريرها تتحجب باكية فسالتها لوريل بجفاف:

- هل مسترحين لي سبب كل هذا؟

ناحت ايفون ورأسها على الوسادة وقالت:

- انها غلطتك . لقد دمرت كل شيء . اذهبي عني . انا اكرهك !

- ماذا تعنين؟ منذ قليل قلت لي بانك متعبة والان تهريين في

السر . . . اريد ان اعرف لماذا؟

لم ترد، فاقتربت لوريل من سرير ايفون وقالت:

- هل سمعت ما اقوله؟ الى اين كنت ذاهبة؟

- لدي موعد .

- موعد؟ في هذه الساعة المتأخرة؟

- والان، فات الاوان ! لن يسعني الحصول عليه . آه، ماذا

سافعل؟

ارتبكت لوريل وانحنت فوق ايفون الباكية وقالت:

- ماذا تعني هذه القصة الغامضة؟ هل مسترحين لي مفصلاً؟

- انه خائمي .

- الخاتم؟

- خاتم الياقوت . سعره باهظ . اهداني اياه والذي في عيد

ميلادي . وسيفضب مني .

- هل اضعفت الخاتم؟

- نعم . اليوم .

تذكرت لوريل الخاتم الذهبي وحبتي الياقوت على شكل حية .

لاحظته في اصبع ايفون عندما دعاما غوردن سيرل الى الغداء . لماذا

ارتدت ايفون هذا الخاتم الثمين في هذا المكان المنعزل؟

- متى رأته آخر مرة؟

- لا اناذكر جيداً . . .

- هل كنت تلبسينه اليوم؟

- نعم .

- الى اين ذهبت في غيابي؟

- اوه . . . لا ادري . . . الى شاطئ البحر . . .

فجأة انتفضت الفتاة وجلست على السرير وصرخت وهي لا تجرؤ

على النظر الى لوريل:
- آه، وماذا بعد؟ سأقول بأنني اضعت وهذا كل ما في الامر
- لا افهم ما تقولين. اذا لم تجدي هذا الخاتم، سأضطر الى اعلام
السيدة آين بذلك كي تعلن بدورها عنه في مركز الشرطة.
- آه، لا لا لا ارجوك. لا تقولي شيئاً
جلست لوريل على السرير ووضعت يداً حنونة على ذراع الفتاة
وقالت بلطف:

- ورفض ان يعيد لك الخاتم، اليس كذلك؟
- نعم. وعدني ان يعيده الي هذا المساء، في منتصف الليل، في
الخليج الصغير الواقع خلف القرية.
- يا مسكينة! وصدقت كلامه؟ الا تعرفين بأنه يسخر منك؟
- آه، ثقي بي. اعرف تماماً كيف اعامل هذا النوع من
الاشخاص.

- حتى الآن فشلت في ذلك. هيا يا ايفون، دعك من هذا
التصرف الطفيلي. رينالدو ليس سوى رجل مهتك يفتخر بمفاته
النسائية. لقد حدثني عنه اليوم السيدة آين.
- لكنه لم يخف علي شيئاً. هل غلطته اذا كانت النساء ترغمي في
احضانه؟ ومهنته تطلب منه ان يهتم بهن. لكنه لا يذهب ابعد من
ذلك. ارجوك لا تعالبيه كأي غاو سخيف!
- هل تعرفين، بأنك تذهين وراء الكارثة، يا ايفون؟ انا التي
مستعيد الخاتم منه.

- انت!
- نعم. وعدت والدك بأن اسهر عليك وسأفعل ذلك. هيا، يا
ايفون، عودي الى فراشك ونامي والا سأغضب منك.
ارتدت لوريل ملابسها بسرعة واقنعت ايفون بالبقاء وخرجت من
غرفتها ببطء وصمت كالظل. وبينما كانت تهبط في سرعة عبر الطريق
المتعرجة المؤدية الى القرية تمتت لو كانت هذه الجزيرة تعج بالسكان.
كانت تترى، وراء النوافذ المطللة على الشرفات الحديدية، اضاءة
واصواتاً وصراخ الأولاد وضجة المذياع. وحدها في الخارج، فريسة
هلع كبير. حبست صرخة رعب لدى عبور هرة بشكل مفاجيء.
وما ان اجتازت القرية حتى وجدت نفسها في قلب الريف.

- هيا، اخبريني كل شيء.
- شرط ان تعديني بالاحتفاظ بالسر.
تهددت لوريل وقالت:
- لا اريد سوى صالحك، يا ايفون.
- اذن، دعيني اخرج من هنا. واذا عارضت، ستوقظين جميع
نزلاء القصر.
- اسمعي، يا ايفون، لست ساذجة ولا فتاة صغيرة. لن تدعيني
اصدق بأنك اضعت هذا الخاتم. مع من كنت على موعد؟
- مع رينالدو. هو الذي يحمل خاتمي.
- وكيف حصل هذا...
- كنا على الشاطئ بعد الظهر ونسيت انني البس خاتمي،
فلاحظه رينالدو وقال لي بأنني ربما اضعته في الماء. اردت ان اعود الى
الفندق لاختبه في حقيبتي، لكنه اقترح علي ان يعلقه بسلسلة عنقه.
هزت لوريل رأسها، فتابعت ايفون الكلام:
- قبلت عرضه، لكن عندما طلبت منه ان يعيد لي الخاتم،
بعد السباحة، قال لي ان آتي لأخذه بنفسه. وحيث بدأ
يفانقني... و... و...

توجهت الى الخليج الصغير حيث موعد اللقاء. ماذا سيحدث اذا تمنع رينالدو عن اعادة الخاتم؟ ليس لديها القوة الكافية لاخذه منه قسراً. وربما لن يأتي الى الموعد بنية مناكدة ايفون. من المستحيل الآن ان ترجع الى الورا. تقدمت بخطوات حذرة وسط الظلال التي تعكسها اوراق الشجر، وما ان وصلت الى الشاطئ الرمي الفاتر حتى نظرت حولها، تصفي: الصمت تام تقريباً. العاصفيرة نائمة، والأمواج الصغيرة تلتقي بهمس بالشاطئ الفاحل. سيطرت على خوفها وتقدمت خطوات قليلة قبل ان تتسمر مكانها. هل نصب رينالدو فخاً لايفون؟

- سينيوريتا...

حبست لوريل صرخة رعب ودارت حول نفسها باحثه عن مصدر الصوت. وخلال نوان قليلة، لم تر احداً. ثم ظهر ظل قرب الصخرة وسمعت ضحكة صغيرة.

- ها انت اخيراً. بدأت اصدق بخيبة الأمل.

ظل وجه لوريل في الظل. فقالت ببرود:

- لكنني سأخيب املك، يا سيد.

اختفت الابتسامة عن وجه الرجل الذي انتفض لدى سماعه صوتاً مجهولاً. ثم قال:

- لا افهم. ماذا تفعلين هنا؟ اين الأنسة سيرل؟

- في الفندق.

تقدم منها وقال بقسوة:

- لماذا لم تأتي الى الموعد؟

- هذا ليس من شأنك. اين خاتمها؟

قال بسداجة متصنعة:

- اي خاتم؟

سيطرت لوريل على ارتجاف يديها وقالت:

- انت تعرف جيداً. اعني خاتم الأنسة سيرل الذي وكلتك به

بعد ظهر اليوم...

وضع يده خلف ظهره وقال:

- انه ليس لك، يا آنسة. لن اعيده الا لصاحبه.

- أولاً، لا يحق لك الاحتفاظ به!

- هل هذا تهديد، الآن؟

- لم ابدأ بعد. اطلب منك ببساطة ان تعطيني الخاتم الآن.

- بإمكانك ان تطلبه بلطف. في كل حال، انها مزحة

وحسب...

- انا لا افهم المزاح الاسباني. الوقت متأخر وانا متعبة. اعطني

الآن الخاتم وتنتهي المشكلة!

نظر اليها مفصلاً، من رأسها حتى اخصر قدميها ثم قال:

- آه لا، ليس بهذه السرعة. لا تنسي بأنك سببت لي ضرراً

كبيراً.

- هيا، لا تكن احقاً

- بلى. لقد حرمتني من لقاء جميل مع الأنسة ايفون، هذا اللقاء

الذي كنت اتوق اليه بشدة... لقد حدثتني عنك كثيراً... اعرف

ان والدها وكلك بها، وبأنك تقيدين حريتها...

اكتفت بالرد ببرود:

- لا انوي متابعة هذا النقاش. هل ستعيد الخاتم الي؟ ام تريدني

ان استنجد بالشرطة؟

- آه، لا. لكنك تقومين بتهديدي على ما اري!

المفترس وتمكنت من تحرير ذراعها والصراخ: «النجدة! النجدة!»
فجأة انعكس ظل عليهما. وسمع شجار قصير وسقوط. وجدت
لوريل نفسها حرة. انتشلتها يدان قويتان من كتفها لمساعدتها على
النهوض. ثم سمعت صوتاً ناعماً يقول:
- هل اصبت بأذى، يا آنسة؟

آه، لقد نجوت! حقاً نجوت! رأت من جديد السماء المنجمة
ووجه الرجل الواقف على بعد ستمترات من رأسها، لمن هذا
الصوت المعروف؟ لكن... اليس صاحبه الرجل الغريب؟
وضعت يدها على جبينها لتبعد خصلات شعرها المشعث. بالكا
تعي ما حدث لها. لكن عندما رأت رينالدو ينهض ويستعد للهرب.
ارادت ان تلتحق به وصرخت:

- اوقفه! لقد اخذ خاتمى!
خانتها قدمها، فسقطت بثقل على الرمل. وفي هذه الاثناء، كان
مخلصها قد التقط رينالدو. فقال الرجل الغريب:

- يا ايها القدر، الا يكفي ان تتحرش بانساء، بل تسرقهم ايضاً؟
بعد مناقشة عنيفة بالاسبانية، اختفى رينالدو وراء الجدار وعاد
الغريب الى لوريل، ويده مفتوحة نحوها وقال:
- هل هذا لك؟

نظرت لوريل الى الخاتم البراق في قعر يده واكتفت باشارة ايجابية
من رأسها، مضيئة:

- انه خاتم صديقتي.
- هل انت اكيده بأن هذا الرجل لم يؤذك؟
احمرت خجلاً وقالت بتلعثم:
- اشعر... شكراً... لكن... لو لم تأت...

بحركة مفاجئة وغير منتظرة، امسكها من كتفها وقال متابعا:
- او ربما هذا التدخل من قبلك يخفي نوايا سرية؟
ابتعدت عنه وقالت:

- وعن اية نية تتحدث؟
امسكها من جديد من كتفها وشد عليها وقال بصوت لطيف
ومتصنع:

- الغيرة مثلاً.
- ماذا بعدا يا له من غرور وغطرسة! لا ينقصك شيء، لا المخيلة
ولا الوقاحة! ابتعد عني!

- هذا الأمر غير وارد! هذا الكلام يقال دائماً... في البداية...
قولي لي، هل صديقتك خائفة مني؟ هل ارسلتك لتدفعي عنها
الرهن؟

- الرهن! اي رهن! لكنك بدأت تهذي ابتعد عني والا سأصرخ!
- لن يسمعك احد، يا ابنتها الحمقاء المسكينه!

جذبها اليه وحاول ان يعانقها. راحت تتخبط بكل قواها، لكنه
كن من وضع ذراعها وراء ظهرها. فاحتلها الخوف حين قال:
- لا انخدع بسهولة، اعرف جيداً ما تريدني! انتن النساء كلكن
شبهات!

ضحك وشد عناقه. صرخت لوريل بغضب عندما مد يده الى
صدرها. رفست كاحله، فصرخ المأ وقال:

- يا ابنتها الشريرة الفاسقة! ستدفعين ثمن فعلتكم!
نجح في رميها على الرمل، فراحت تتحب وتبكي وبيا الهي،
كيف سأستطيع التخلص من هذا المجنون الغاضب الذي يصمم
على الحصول علي؟. راحت تجاهد بكل قواها ضد هذا الحيوان

وبينما كانت تتكلم، كانت تحاول النهوض وترتيب ملابسها. لكن
بداها خائفاً فراحت ترتجف كورقة غير قادرة على حبس دموعها.
وبعدما تأملها الغريب فترة طويلة، انحنى فجأة وحملها كأنها طفل
صغير وقال:

- لست بحالة جيدة. حادثان في يوم واحد هل هذا من عادتك؟
لم تستطع ان ترد بوضوح، فهزت رأسها متعبة. فالتفت الغريب
الى حصانه وقال:
- اذا حملتك على ظهر حصاني، هل تستطيعين الجلوس وحدك
فترة قصيرة كي اتمكن من الصعود بدوري؟
- نعم.

حملها الى ظهر الحصان، شعرت كأن الدنيا تدور حولها،
فتمسكت بعنق الفرس وبعد ثانية كان مخلصها وراءها، متمسكاً بها
لئلا تقع.
- اسندي ظهرك الي واسترخي...
- انا... هذا لطف منك، يا سيد، لكن لا حاجة لايصالي، فانا
قادرة ان...

- في هذه الحالة؟ لا تستطيعين اجتياز خمسة امتارا
بدا الجواد يهز رأسه، فنقلصت لوريل عفويًا. امرها بلطف
قائلاً:

- قلت لك ان تسترخي! انا متمسك بك ولا خطر عليك من
السقوط.

لكز الحصان بلطف، فسار ببطء على طول الشاطئ، غير متزعج
من الحمل الثقيل. وشيئاً فشيئاً، هدأت لوريل واسترخت على صدر
الرجل الغريب، وشعرت بالأمان. لكن عندما لاحظت بعد قليل

انها ليست في طريق العودة الى القرية، شعرت بالخوف وانفضت.
فقال لها الرجل وهو يشد عليها:

- لا تخافي، يا آنسة. سأخذك الى منزلي. لست في حالة تسمح
لك بالعودة الى الفندق.
- لكن، انا...

- دعيني اهتم بالأمر بنفسي. معي لا خطر عليك اطلاقاً. انا
والعاملون لدي اشخاص متمدون.
- هذا لطف منك، يا سيد وانا مدينة لك. لكن الوقت ليل
والساعة تجاوزت منتصفه...
- وماذا بعد؟

ما مرردها على هذا السؤال؟ لو لم يصل الى الشاطئ في هذه
الساعة المتأخرة من الليل، لحلت بها الكارثة! فضلت عدم التفكير
بالأمر. اذن لماذا المناقشة؟ لماذا طرح الاستئلة؟ في هذه الزاوية البعيدة
من هذا العالم، تشعر وكأنها وحيدة مع هذا الرجل الصامت الذي
تنبع منه حرارة تبعث على الاطمئنان والاضطراب في آن واحد. لا
شيء له اهمية بعد ذلك. الكابوس ابتعد.

على بعد بضعة مئات من الامتار انعطف الشاطئ نحو لسان
الجبل الداخلى في البحر. فأخذ الحصان طريقاً قاسية تحيط بها
الشجيرات النحيلة. وشيئاً فشيئاً اصبحت النباتات اكثر كثافة
واتسعت الطريق. في الهواء الفاتر، الازهار غير المرئية تفسح
عطورها الزاهية، والحشرات الليلية تطير حولها وتلمسها
باجنحتها.

فتحت عينيها وراى سياجاً قرب السماء الزرقاء الغامقة، ثم قصرأ
ضحكاً مزيناً بالابراج. اظهرت تعجباً لا ارادياً. كيف لم تفتن الى

ذلك من قبل؟
وصلا الآن الى القصر. هذا الرجل الغريب الذي قفز ثم مد لها
ذراعيه، ليس هو اذن ... سوى الكونت.

٤ - موعد فلقاء ... ولكن

www.rewity.com/vb

- اهلاً وسهلاً بك الى فالديروزا!
قال الكونت هذا الكلام بلهجة ساحرة وهو يتقدمها تحت القنطرة
الحجرية المزينة الى داخل القصر.
دخلا بهواً واسعاً سقفه ملبس بخشب السنديان، واللوحات
العديدة ذات الاطر المذهبة. بساط رائع يغلف جداراً بكامله.
والمكان يعج بالخزائن المحفورة والكراسي العالية والخزف الذي يملأ
الرفوف الى جانب الاواني الفضية والتحف الفنية النادرة. المصابيح
الجدران المذهبة تبعث نوراً خرافياً على كل هذه الروعة.
سحرت لوريل بهذا الاكتشاف والتفتت ببطء حولها وانتفضت
عندما اشتبكت نظراتها بنظرة الرجل الغربية الباردة. دخل خادم

بصمت وانحنى أمام الكونت. فاعطاه صاحب الدار تعليمات ملخصة قبل ان يقول الى لوريل:

- اتبعي جوزيه. سأوافيك بعد لحظة.

لا شك انه يريد وضع حصانه في الاسطبل. فجأة شعرت بالحنين لرؤية الخادم صاحبياً في هذه الساعة المتأخرة، فتبعته في عمر طويل. فتح جوزيه باباً ثقيلاً منحوتاً، بمصراعين ثم قال:

- هذه هي قاعة الاستقبال:

ثم اشار لها الى باب آخر واضاف:

- ومن هنا، تمجدين الحمام.

اختلف جوزيه ودخلت لوريل الى الحمام الحديث الطراز والمبلط بالحجارة الزرقاء النوركوازية المتناسقة مع المغسلة والمغطس والمناشف السمكية.

غسلت وجهها مطولاً بالماء الباردة. ووفرشاة نظفت ملابسها الملطخة بالرمل وسوت هندامها. ثم سرحت شعرها وعادت الى قاعة الاستقبال. انها غرفة متوسطة الحجم، داخلها الرفوف تحمل الكتب العديدة، واللوحات الحديثة والبساط السميك الفاتح واريكة ومقاعد مريحة. على طاولة منخفضة قرب النافذة قيثارة اسبانية اصفت جواً دافئاً على المكان.

جلست لوريل باسترخاء على الاريكة واحست بتعب بعد هذا النهار الحافل بالحوادث العديدة والانفعالات المختلفة. آه، لو تمكك آلة لإعادة الزمن الى الوراء... فليسوء حظها التقت بالشخص الوحيد، الذي كان عليها ان تؤثر فيه تأثيراً جيداً. ولا شك ان مشروعها قد فسد. لم يخف لها عن نظرتة تجاهها... بعد سباحة بعد الظهر ومحاولة النيل منها... آه، لو لم تتصرف ايفون تصرفاً

احق... ايفون... آه، ستقلق لعدم عودة صديقتها. عليها ان تعود الى الفندق الآن. نهضت من مكانها وفي الحال انفتح الباب. فواجهتها النظرة الباردة لصاحب الدار المدهش.

قالت متلعثمة:

- يجب... نعم، يجب علي ان اعود الى الفندق.

- لكنك وصلت لتوك! ابقى فقط لاحتساء القهوة التي ذهب

جوزيه لتحضيرها.

جلست وقالت:

- آه، لا حاجة للانزعاج من اجلي. الوقت متأخر جداً.

قال بجفاف:

- ليس من المفروض ان تفاجأي من تأخر الوقت، ما دمت قد

اعطيت موعداً في منتصف الليل.

- ليس انا من حدد هذا الموعد.

- لكنك ذهبت اليه بنفسك... آه، ها هو جوزيه.

وضع جوزيه الصينية واختلف بصمت كما دخل. رمق الكونت

لوريل بنظرة غريبة وقال:

- هل بإمكانك ان اطلب منك خدمة؟ ليس من عادة بلادكم ان

تقوم الفتاة بتقديم القهوة مكان ربة المنزل؟

احمرت لوريل امام نظرتة الساخرة وتوجهت الى الطاولة وحملت

غلاية القهوة الفضية وسكبت القهوة السوداء العطرة في فنجانين.

قدمت فنجاناً الى الكونت وقالت:

- يبدو انك مطلع على عادات بلادنا، يا سيد.

- لقد امضيت بعض الوقت في بلادكم.

حمل الفنجان وانتظر لوريل كي تجلس وجلس بدوره. قال:

- يخيل الي بانك لا تتقيدين بعبادات بلادك

كادت ان تحتقن، ثم قالت:

- ماذا تقصد؟

ابتسم قليلاً واجاب:

- ليس لطفاً مني ان الح على ما افوله. واخشى ان اوترك اكثر، في ساعدتك على تذكر...

احمرت لوريل واخفضت وجهها ببطء وجرعت قهوتها قبل ان تقول بصوت متقطع:

- انا اشكرك على استقبالك لي، يا سيد. وعلى كل ما فعلته من اجلي اليوم، لكن يجب علي ان اعود الى فندقتي. لماذا؟

- لان الوقت متأخر... لم نتعرف الى بعضنا بعد...

ضحك بصوت مرتفع وقال:

- انت في اجازة وتعيشين في الفندق وليس في الدير لا تحيين البقاء هنا، لاننا لم نتعارف بعد على بعضنا، كما هي الاحوال. هل تخافين من الاشاعات؟

- اوه... اذن... نعم. اخاف...

قال بسخرية:

- لا تقولي بأن الاعراف تخنقك! لن اصدق ذلك منك، خاصة بعد ان رأيتك بعد الظهر اليوم تسبحين وحدك كما انك اعطيت موعداً في منتصف الليل مع غاو محترف.

قالت بعنف:

- بلى، اصبر على مجارة الاعراف! لا تتهمني بأشياء لا علاقة لي بها. لا احب ان يسخر احد مني.

- معاذ الله، يا آنسة. سامحيني، ارجوك. كيف بإمكانني ان

اعوض عن ذلك؟

- لا اطلب منك الا شيئاً واحداً، وهو ان تصدقني. اقول لك مرة

اخرى بأن موعد منتصف الليل لم يكن مخططاً له من قبلي.

- اشرحي لي لماذا انوجد خاتمك في حوزة رينالدو.

- الخاتم ليس لي بل لايفون. وارتدت ان اجلبه مكانها.

ترددت لحظة. ثم قالت:

- لم يكن مناسباً ان تذهب بنفسها الى هذا الموعد... ومن هنا

حصل سوء التفاهم هذا.

- لا افهم شيئاً، يا آنسة. لماذا اعطيت لرينالدو خاتماً لا يخصك؟

ام هل سرقه؟

- آه لا، كلا، ابدأ.

قررت ان تكون صريحة معه وتقول الحقيقة، فأضافت:

- في الواقع انا مسؤولة عن ايفون. والدها اوكلني بها، لابعاد

عن شاب فاسق تعلقت به. انك ترى بنفسك، انني لم اقصد ان

ارميها بين ذراعي رجل آخر مثل رينالدو. لذلك قررت ان من

واجبي التدخل في الامور التي تتعلق بها.

اطلقت زفرة سرية وعم الصمت. رفعت لوريل عينيها والتفت

بنظراته المتفهمة سالها:

- ما عمر ايفون؟

- ستة عشر سنة.

هز رأسه وقال:

- افهم جيداً شعورك نحوها، يا آنسة. ذلك لانني نفسي، انا

ايضاً اجابه قصة من النوع نفسه.

- انت؟

ابتسم بمرح وقال:

- هل تعتقدين بأن هذه المشكلة لا وجود لها عندنا؟ حتى هنا، حيث التقاليد محترمة وصارمة نجد انفسنا معرضين لما يرفضه هذا الجيل الشاب لأي شكل من اشكال السيادة والسطوة.

تذكرت لوريل فجأة عمته العجوز التي ربتها بعد وفاة والديها، اي عندما كانت طفلة. التربية الجدية الصارمة التي اعتمدتها العمه اديل اثرت بالفتاة تأثيراً عميقاً. وربما هذه الحشمة الغريزية، هي التي افسدت علاقتها مع فيليب، الذي لم يكن يفهم معنى تحفظها القوي، هي الفتاة الحرة والمستقلة.

انحنى الكونت يراقب بتمعن وجه الفتاة الجميل المعبر وقال:

- هل تعتقدين، انت ايضاً، بأن التقاليد الصارمة يجب ان تعود؟

- يتعلق الأمر بنوعية هذه التقاليد والشخص الذي يتعامل معها.

- في مثل هذه الحال، الأمر يتعلق بفتاة طائشة، ووقحة، اذن؟

امام صمت لوريل تابع الكونت يقول:

- ابنة عمتي تكبر صديقتك بقليل. ولقد تعلقت هي ايضاً بشاب

رفضته عائلتها قطعياً. انه عاطل عن العمل، يحوم حول ثروتها.

كارلوتا تصبح غنية عندما تبلغ سن الرشد، ولا نريدها ان تنخدع به

ونحاول ابعادها عن هذه التجربة الى ان تعود الى رشدها. متصل في

نهاية الاسبوع المقبل.

- الى هنا؟

- نعم. لست فرحاً جداً بهذا المشروع. انها تحب كثيراً ان تأتي

لزيارتنا. لكن في الظروف الحالية...

لم يكمل كلامه. سأله بحذر:

- لا شك ان ابنة عمك فتاة نعيسة. ربما هي تؤمن بصدق هذا

الرجل؟

- مهما حدث، فالقضية اقفلت نهائياً. لن تراه بعد الآن وستنساه

بسرعة. الفتاة، عندما تكون في السادسة عشر من العمر، لا تعرف

ما تريد. اما بالنسبة الى عواطفها...

قاطعت لوريل بحدة قائلة:

- ليس كلامك العسلي، الذي سيمنعها من الألم والعذاب.

- تضعين نفسك الى جهتها على ما ارى. لكنك تدخلت في

شؤون ايفون، بحجة انك تفعلين صالحها. انت فتاة غريبة

ومتناقضة وغير منطقية، يا آنسة!

رفعت الفتاة كتفها بتعب. هذا الحديث ارهقها. لكنها قالت:

- كيف بإمكانني ان اضع نفسي بجانب الفتاة وليس ضدها، وانا

لا اعرف شيئاً عن المشكلة التي تعانيها؟ اما بصفتي غير منطقية...

فانت حقاً صادق باتهامي... فقط لانني لست من رأبك.

ابتسم بتفلسف وبرقت عيناه وقال:

- في كل حال، عندما ترين كارلوتا، ستدركين انها ليست بحاجة

لان يدافع احد عنها.

هزت لوريل رأسها وقالت:

- في كل حال، الأمر لا يخصني مباشرة.

ثم نهضت وقالت:

- انا متعبة واريد العودة الى الفندق.

نهض بدوره وقال:

- آه، اعذريني. سأوصلك الى الفندق، لكن قبل ذلك...

تردد فسألته:

ستفهميني بدل الغضب؟
 - لن اسمع شيئاً طالماً...
 - دعيني اكمل حديثي، من فضلك.
 فضلت السكوت على رؤيته غاضباً. فتابع يقول ببطء مدروس:
 - نحن الاثنان تسرعنا في اصدار احكام عامة واخطانا، الا تفهمين بان التصرف الوقح لدى بعض الفتيات يمكنه ان يسبب ضرراً للآخرين؟ ومثال على ذلك، ما كاد ان يحدث لك من جراء غلطة ارتكبتها صديقتك. ونتيجة ذلك تضعيني في فئة الغاوين مثل رينالدو. انا لم احاول الحكم عليك، اقسام لك بذلك.
 تهدد ولامس خدها بلطف وتابع يقول:
 - الفتيات الطائشات لا تحمر خدودهن بسهولة انما انت خجلت بعد الظهر واحمرت وجنتاك. وها انت الآن تفعلين الشيء نفسه... شعرت بانزعاج وقالت:
 - دعك من هذه القصة الرهيبة. افضل ان انسى ما حصل بسرعة!
 - انا لا احب نسيان ذلك بشكل خاص.
 سكت قليلاً ثم اضاف:
 - حسناً. لن افتح هذا الموضوع بعد الآن، لكن بشرط واحد، وهو ان ندفن العدائية بيننا ونقر السلام.
 رجع الى الورااء. لكن لوريل ظلت جامدة مكانها لا تعرف اين هي من كل هذا. ترغب في تصديق الرجل والقبول بتفسيراته، وفي الوقت نفسه لا تريد الاستسلام لجاذبيته القوية. ما معنى هذا التغيير الجذري من قبل الكونت؟ توجهت الى الباب وقالت:
 - حسناً، ما دمت تريد ذلك.

- ماذا؟
 - كم من الوقت ستبقين في هذه الجزيرة؟
 - شهر تقريباً.
 - وهل وصلت الى هنا منذ وقت طويل؟
 - منذ اقل من اسبوع. لكن... لماذا هذه الاسئلة؟
 - لاسباب عديدة. من المستحيل ان تبقي، من الآن فصاعداً، في الفندق.
 - لكن لماذا؟ لقد حجزنا فيه لمدة شهر بكامله.
 - لكن الامر الآن لم يعد مناسباً، بسبب ما حدث حتى الان.
 - كيف؟
 - عليك الحذر من الآن فصاعداً. لقد هاجمك احد مستخدمي الفندق، لا تنسي. طبعاً ليست غلظتك... لقد تصورت ان رينالدو قد فهم بعد الذي حدث في الماضي... لم يكمل كلامه وتذكرت لوريل قصة ساره... لكن هل سيامرها بمغادرة الجزيرة؟
 - بالنسبة الي شخصياً، افضل ان انسى كل ما حدث. ولا اعرف لماذا يجب علينا ان نعاقب. لن نلغي عطلتنا بحجة علاقة عاطفية عابرة، كانت لها نهاية مأساوية.
 - هل شعرت بالخوف؟
 - نعم. لكن هذا لا يكفي كي اغادر الفندق الوحيد الموجود في الجزيرة.
 - وماذا اذا استضفتكما عندي؟
 - ماذا؟
 - لا تنظري الي كائني انسان مجنون. فكري بالامر. ستصاب

ترددت ثم نظرت اليه وقالت:

- عادة، لا اغضب بسهولة. لكن هذا النهار كان مختلفاً.

- انا اصدق كلامك واوافق معك.

- شكراً لكل ما فعلته لانقاذي. وشكراً على القهوة. والآن،

د بأنه من الأفضل ان...

يقفت لدى رؤية ابتسامته المرححة. فقال:

- آه، يا الهي، لن افهم ابداً النساء الانكليزيات...

هز رأسه مرتبكاً وفتح الباب. ولما اصبحا خارج القصر، كانت

الساحة مضاءة وسيارة نجاسية تنتظرهما. بدت الجزيرة، في ضوء

القمر، ساحرة وسرية. وبعد دقائق معدودة وصلت الى الفندق.

وقف الكونت السيارة امام الباب وقال:

- آه، لا شك انك متعبة. اعذرني اذا حجزتك مطولاً.

ترددت لحظة قبل ان تقول:

- أمل ألا تكون جدياً في ما يتعلق بمغادرتنا الجزيرة؟

- لكن، لم المح الى ذلك ابداً. اكنفت بالقول بانك لا نستطيعين

البقاء في الفندق بعد الذي حدث. وما زلت اصر على ذلك.

- هل كنت تقصد بأن...؟

- نعم. فكرت بأن ابنة عمتي ستكون فرحة لرفقة الفتيات فعمتي

التي تعيش معنا، هي الآن خارج البلاد في زيارة اصدقائها، ولا

تنوي العودة بهذه السرعة لمراقبة كارلوتا. اما انا فساؤطر للسفر الى

مدير من اجل القيام بأعمال ملحة ولن يطول غيابي. لكن ابنة

عمتي ستجد نفسها وحيدة، وهذا الأمر لا يعجبني. جدتي، امرأة

مسنة، وليست على استعداد لتحمل مزاج هذه الفتاة العنيدة. ومن

يدري، ربما اري لدى عودتي بأن العصفور قد اختفى!

- بدأت افهم ما تقصده. والمشكلة ليست سهلة. لكن هل تعتقد

بأن وجود الغرباء سيغير الامر؟

- آه نعم! اطلب منك ان تفكري ملياً باقتراحي. واذا قبلت،

منصيب هدفين برمية واحدة. اذا رفضت، سأطرد رينالدو من عمله

وستعاني آلين مشكلة ايجاد من يحل مكانه. وهذا الامر صعب جداً في

هذا الموسم.

- آه، صحيح؟

- انت لا تعرفين الجزيرة ومواردها ونوعية ومستوى العمال فيها.

دعيني اكون الحكم الوحيد.

- طبعاً، يا سيد. لكن علي ان افكر ايضاً بالوضع المالي لهذه

القضية. لا ادري ما افعله لقد دفعت اجرة الفندق مسبقاً.

راح يضحك بطيبة خاطر وقال:

- آه، انن الانكليزيات عنيدات لا تقلقي، لا احد سيخسر، لا

انت ولا السيدة آلين. سأشعر بأمان اذا كنت في حمايتي. لكن

اعذرني ان قلت لك بانك تجلين الكوارث كالصاعقة. الله وحده

يعرف ما يمكن ان يحل بك، في جزيرة المصير حتى نهاية اقامتك!

كادت ان ترد عليه لانتهاها بافتعال الكوارث، لكن تحملت بالوعي

الكامل وقالت:

- انت لطيف حقاً، يا سيدي وانا مدينة لك بالشيء الكثير. لكن

لست مضطراً لأن تأخذ تحت حمايتك فتاتين غريبتين. وفي ما يتعلق

بأبنة عمته... او... سأكون فرحة للتعرف اليها. ومرافقتها

قدر المستطاع.

- لقد افهمتك بأن لا دين بيننا، وبالتالي لا وفاء للاحسان...

لمعت عيناه غضباً وقال:

- كيف سأتوصل الى اقناعك؟ هل تعتقدين بأنني انصرف تجاهك بداعي التهذيب؟

- كلا، كلا، ابدأ. ارجوك لا تفكر ابدأ بأنني...

- اسمعيني ايضاً مرة أخرى، يا آنسة. نحن ايضاً لدينا عاداتنا وتقاليدنا. عندما غادرت القصر الآن، كان بإمكانني ان اقول لك:

«انت هنا في منزلك». لكنني لم افعل ذلك، لانك غريبة. قولي بصراحة، هل تعتقدين بأنني انكلم في الهواء؟

- لا، ابدأ. آه، حاول ان تفهم! لا اريد ان استغل كرمك ولطفك. اري بأنني جرحت شعورك. ليس هذا قصدي، صدقني.

ران صمت قصير، ثم وضع يده في يدها وقال:

- اعرف ذلك. والان اتركك. سارك غداً لنضع النقاط على الحروف.

طبع قبلة على يدها، فاعتقدت لوريل بأنها تحلم. امامها رجل انيق ولبق يساعدها على الخروج من السيارة ويرافقها حتى عتبة الباب

ثم ينحني ويقول قبل ان يتعد:

- الى اللقاء. لا توقظي النائمين.

توقفت لوريل امام الباب، تنظر اليه يتعد في الليل. شعرت وكأنها تحلم في نهاية هذا النهار الحافل. في الصباح، عندما ذهبت

لاستكشاف الجزيرة، لم يكن الكونت موجوداً. اما الآن فيبدو انه يملا عالمها...

- لوريل، اين ذهبت؟

ظهرت ايفون في اعلى السلم، قلقة، وتابعت تقول متهمه:

- كدت اجن! من هو؟ رأيت السيارة...

وقبل ان يتسنى للوريل ان ترد، مدت ايفون يدها وسالت:

- هل حصلت عليه؟

حدقت بها لوريل لحظة، فمها مفتوح ونظرتها لا تعبر عن شيء.

ثم كادت ان تنفجر بالضحك امام سخافة الوضع. هذا الخاتم اللعين، سبب كل عذاباتها. وما زال في حوزة الكونت!

www.rewity.com/vb

- نعم، كان على وشك ان يفعل ذلك...
- آوه! مساء أمس، لم أكن أعرف اذا كنت تقولين الحقيقة كاملة أم
تضحكين علي.

الم تشجعيه على ذلك؟
- أبداً.

- الا تريدان ان نقول شيئاً بهذا الخصوص؟
- لقد أخبرتك بكل ما حصل، لدى عودتي.
- ليس كل شيء... .

- اذا كنت تريدان تفاصيل مؤنسة، لا تتكلي علي.
- آه! لست لطيفة. لكن، يا لها من مغامرة لا تصدق! الكونت
يأتي لنجدتك في منتصف الليل، على ظهر حصان أسود، ثم يضعك
فوق الفرس ويقودك الى قصره... آه، بعض الناس يحفظون!
- استطع ان أعيش من دون الذي حدث!
ادارت لوريل ظهرها وراحت ترتدي ملابسها. حول عينيها
شحوب يدل على أنها لم تنم جيداً خلال الليل، بعد كل انفعالات
ومفاجآت أمس. في وضع النهار بدت كل هذه الحوادث كالحلم،
أو كالكابوس وتريد لوريل ان تنساه. لكن ايفون تتمتع بحشوية
ملحة فراحت تنهمر عليها بالاسئلة خلال فطور الصباح.

- اذن، مستناول الغداء في القصر.
- لا اعرف.

- لكن ما دام قد دعانا... .

- اتساءل اذا كان لانغاً ان تقبل دعوته؟

- ولم لا؟ حسب رأيي انا، هذه الدعوة رائعة. اخبريني كيف هو؟
ما عمره؟

٥- ضيفتان

- هل قال لك أي ساعة سيأتي الى الفندق؟
اجابت لوريل:

- كلا. قال بأنه سيمرّ خلال النهار.

- لكن ماذا اذا لم يات؟ وماذا اذا فقدت خاتمي؟ أنت حقاً انسانة
غريبة، يا لوريل. كيف نسيت ان تطلبي الخاتم منه؟

- لقد نسيت ذلك كلياً. ضعي حالك مكاني. تشاجرت معه...
وبعد الذي حصل، لم أكن أنوي سوى العودة. لا تنسي بأنني

اضطرت، في بادئ الأمر، ان اذافع عن نفسي ضد رينالدو.

- قولني بصراحة، يا لوريل، هل حاول فعلاً ان... .

قاطعتها لوريل بجفاف قائلة:

- لم اسأله. لكن ربما يكون في الثلاثين.
- هل هو وسيم؟ وجذاب مثل رينالدو؟
- من الصعب القول...

انها ترى الكونت رجلاً وسيماً. لكن ان تقارنه برينالدو هذا مستحيل. كمقارنة الهرّ البرّي بالنمر الملكي... وخشية ان يظهر التوتّر الذي يمتلجها، اسرعت في القول لانها الحديث:

- آه، سترينه بنفسك.
- لكن، يا لوريل، قلت لي بالأمس، بأنك تشاجرت مع الكونت. ما سبب ذلك؟
- لا تنوي لوريل ان تخبرها عن الظروف المذلة التي جعلتها تلتقي بصاحب جزيرة المصير، فاجابتها قائلة:

' كنت ابالغ قليلاً. مثلك، اعتقد الكونت بأنني شجعت رينالدو على ما فعله. فقلت له بأنه مخطيء ويلهجة قاسية. لا شك انه غير معتاد على ذلك.

- هذا كل ما في الأمر؟
- الا يكفي؟ هل تشعرين بتحسّن اليوم؟
- أنا؟ نعم. لماذا؟ هل أبدت مريضة؟
- لا، ابدأ. بالعكس تبدين متألقة، واحسدك على ذلك فوجئت ايفون وقالت:
- لكنك رائعة، يا لوريل، مبتهجة ومنتعشة وجميلة ايضاً.
- انت جميلة جداً، يا ايفون. ولا حاجة بك للحسد من اي انسان.

- صحيح؟

- انا أكيدة من ذلك. اما الآن فأريد ان أتمدّد على الكرسيّ المزرا

في الحديقة. وانت ماذا ستفعلين؟

- لن أتركك. وأود من كل قلبي ان أرى الكونت حين يصل. خرجت الفتانان الى الحديقة وتمددنا تحت الشمس وشرعنا في القراءة. ولم يأت أحد. بعد الظهر بدأت ايفون تفتق على خاتمها. عَجّ المكان بالنزلاء العجزة وازواجهم، فملّت ايفون من هذا الوضع وقالت:

- آه، لا أريد ان ابقي دقيقة واحدة مع هؤلاء العجزة المجانين! هذا فوق ما أستطيع تحمله.
- أين تذهين؟
- الى الشاطئ.

وضعت ايفون نظارتها وقبعتها وغادرت المكان بخطوات متمايلة. اطلقت لوريل زفرة عميقة وتساءلت: ماذا بإمكانها ان تفعل؟ من المستحيل ان تراقب صديقها من الصباح حتى المساء.

ربما كان الكونت على حق. في القصر ستمكن لوريل من مراقبة ايفون اكثر. واذا برهنت كارلوتا عن لطفها وتعقلها، لربما اصبحت رفيقة ثمينة لايفون، التي ما زالت تجد صعوبة في اخفاء ضجرها. وكيف بالامكان لومها؟ الجزيرة لا تحتوي على وسائل اللهو لفئة من جيلها. والآن تأمل لوريل الا تكون دعوة الكونت مجرد لياقة سطحية كما تمنى الا يطول تأخره.

وبانتظار ذلك، قررت كتابة بعض الرسائل. فنهضت من مكانها وتوجهت الى غرفتها لجلب قلم وورقة. في البهو التقت بالأنسة جيسون. هذه المخلوقة العجوز، القصيرة الناعمة، الوحيدة، توظف عند لوريل الشفقة. تحدثنا معاً ثم سألتها العجوز:

فجأة توقفت الأنسة جيسون عن الكلام، قائلة:
- آه، المعذرة، يا عزيزتي الصغيرة. لا شك أنك مللت من
كلامي.
- لا، ابداً.

- لكنك تسامحين بسهولة. لن أنطق بكلمة بعد الآن!
وانغمست العجوز الانكليزية في كتابة الرسائل واران الصمت
مدة طويلة. وحوالي الرابعة بدأ النزلاء يهبطون الى الحديقة. والسيدة
آلين تحضر السندويشات والحلوى لمن يريد، محافظة على التقليد
البريطاني.

وفي تلك الاثناء وصلت ايفون وتمددت على المقعد. سألتها
الأنسة جيسون:

- هل قضيت وقتاً ممتعاً على شاطئ البحر؟
- انت متعزجين، اليس كذلك؟
هزت العجوز كتفها ونهضت لتتوجه نحو زاوية الشرفة حيث
الشاي يقدم للجميع. وكالجراد أحاط النزلاء بطاولة الطعام،
وراحوا يأكلون السندويش وقطع الحلوى الصغيرة.
فسألت ايفون:

- انظري. انهم يعيشون فقط في انتظار موعد الطعام. وفي
الحقيقة لا يحبون شيئاً آخر! آه لهؤلاء النساء!
- أخفضي صوتك. بإمكان أحد ما ان يسمعك.
- واذا سمعني أحد؟ اليس ما أقوله صحيحاً؟
- في المستقبل، يا آنسة، أنصحك ان تبدي رأيك بطريقة
سرية.

هذا الصوت الجاف والمتعالي جعل الفتاتين تستديران معاً دفعة

- انسي دائماً إلا احد هنا في هذه الساعة من النهار، ساعة
القبولة. أريد شراء بعض البطاقات البريدية ولا أريد ازعاج السيدة
آلين. هل تعتقدين أنه بإمكانني ان آخذ بضعة بطاقات الآن؟
ابتسمت لها لوريل بلطف ونعومة وقالت:
- ليس في ذلك أي مشكلة. وأنا كذلك سأخذ بعضاً منها. عادة
نضع المال في هذا الصحن، هناك.
فعلت الأنسة جيسون مثل لوريل، ثم تبعتها الى زاوية مظلمة في
الشرفة. وقالت:

- هل تركتك صديقتك؟

- آه... لوقت قصير. ذهبت الى الشاطئ.

- لا شك، أنها لا تنسل معنا. هذا أمر طبيعي، لمن في سنها.
الصغار يعتقدون دائماً بأننا لم نمر بسن الشباب. بينما عندما أفكر
بذلك الوقت... في شباننا، أقول، بأننا لمونا كثيراً، صديقتي وأنا.
أذكر أيما عندما وقعت بغرام شاب فرنسي التقت به في نيس مع أحد
اصدقائه، تبعانا لمدة اميال عديدة، في جادة الانكليز. في تلك
الأيام، لم يكن سهلاً التعرف على الجنس الآخر. ولو عرفت والدة أيما
بذلك، لجن جنونها... آه، نعم كانت اجازة رائعة. التقيت ببارك
بعد مدة قليلة، وتواعدنا على الزواج...

تهدت عميقاً وبأسف وأضافت:

- كان ذلك عام ١٩٤٠. ومن ثم اندلعت الحرب ومات مارك

بجيم دانكرك...

- آه! هذا مؤسف حقاً.

- نعم. بقيت حزينة عليه سنوات عديدة... لكن، يجب

الإستمرار في الحياة...

واحدة وحين تعرفت لوريل الى النظرة الساخرة التي كانت تهددها منذ الأمس، رفعت يدها الى عنقها.

منذ متى والكونت هنا وراء مقعدها. كيف لم تسمعه يصل؟
قالت ايفون مذعورة:

- الا نتجمل من التنصت على الحديث، يا سيدي
ابتسم وقال:

- المعذرة، يا آنسة. انت على حق. غلطتي اسوا من غلطتك.
اسمحي لي ان أقدم نفسي... رودريغو دي رينزيه، تحت
خدمتك. وانت، يا آنسة، من تكونين؟

أعطته ايفون اسمها ونظرت اليه بعينين مسحورتين وأضافت:
- المعذرة، يا سيدي. لا شك أنك عرفت بأنني لم أكن أريد أن

أجرح شعور أحد.
- أنا مقتنع كلياً بذلك، يا آنسة.

ثم التفت الى لوريل وسأل:
- هل بإمكانك الجلوس معكما؟

- طبعاً.

جلس الجميع. لكن لوريل كانت ترتجف اضطراباً وتحمس ايفون
على استرخائها وفرحها في الاستئثار بانتباه هذا الرجل الجذاب. بدا
وكأنه عرف نداء العينين الجميلتين البراقتين، وبسرعة اخرج الخاتم
من جيبه ونصحها ان تضعه في مكان أمين. فمدت له يدها النجيلية
وقالت:

- أظن انه من الأفضل ان اضعه في اصبعي.

- هل تسمحين ان اساعدك؟

شكرته ايفون بحرارة، مضيئة بأن والدها مستعد لقتلها اذا

اضاعته. ولم تستطع لوريل من كبت ابتسامتها الساخرة: غوردن
سيرل هو آخر من يفعل ذلك!

- لست أنا من يجب ان تشكري، بل صديقتك.

- آه، نعم. لقد فهمت، أنها تعرضت للمشاكل من أجل
الحصول عليه.

- نعم، بالفعل.

نظر الكونت الى لوريل وقال:

- هل شفيت كلياً من انفعالات الأمس المؤلمة، يا لوريل؟
اضطربت لسماع اسمها على لسان الكونت، وهزت رأسها قبل
ان تسأل بخجل:

- ربما تريد بعض الشاي.

- شكراً. لقد طلبت من السيدة آلين ان تحضره لنا. كما حدثتها
عن قضيتنا. لقد شاركتني الرأي ولا يبقى لي الا الحصول على
موافقتك.

لمعت عينا ايفون فرحاً، اما لوريل فما زالت مترددة. هل من
الصواب ان تدع الكونت يتدخل في شؤونها لكن... ما دامت
السيدة آلين موافقة...

في تلك اللحظة، دخلت روزيتا تجر أمامها طاولة صغيرة وضعت
عليها الأنية الفضية، وسط فناجين رائعة من الخزف. همست ايفون
لدى رؤية نظرات الدهشة في عيون التزلاء قائلة:

- يا لهذه المراعاة!

وباسترخاء مبالغ، راح رودريغو دي رينزيه يحتمي الشاي.
فاعتبرته لوريل في تلك اللحظة بأنه يشبه الحرباء، يتكيف مع كل
الأوضاع بسهولة غريبة. ويدا على ايفون بأنها اتخذت بسحره

وجاذبيته .

وبعد ذهاب الكونت، انتشر الخبر كالصاعقة. الجميع فرحوا لدعوة الفتاتين الى منزل صاحب الجزيرة. ولما جاء السائق لياخذهما الى فالديروزا، تجمع النزلاء كلهم على الشرفة ليودعوهما.

ولما توقفت السيارة الضخمة أمام مدخل القصر، شعرت لوريل بابتهاج غريب. راح قلبها ينبض بسرعة جنونية. وما ان هبطنا من السيارة حتى تقدم الكونت لاستقبالهما. ثم قال:

- سنريكما غرفتيكما وستتناول العشاء في الساعة التاسعة وسيكون بسيطاً جداً، لان العمدة كونستانس لم تأت بعد.

ولما اصبحتا في غرفتيهما، سألت ايفون بعدما دخلت الى غرفة لوريل الشاسعة:

- ماذا يعني بالعشاء البسيط هل نرتدي الجينز أو الملابس الانيقة؟

- أنا سأرتدي تنورة مخملية وقميصاً مطرزة.

- وأنا أرغب في ارتداء بزتي الجديدة، الحمراء والسوداء...

الشفافة... على شرف الكونت! لا شك ان ذلك سيحدث تغييراً

جلدياً في عادات الكونت، اذ كان هذا الاخير معتاداً على ذلك!

ولما رأت ايفون تعبير لوريل المذعور، راحت تضحك بصوت عال

وتقول:

- لا تخافي! أنا امزح فقط... أليس هذا رائعاً ان يكون لكل

واحدة منا غرفتها الخاصة تعالي وانظري الى غرفتي... شرفتي تطل

على البحر. انه حلم!

كانت الغرفتان مفروشتين بالاثاث الفاخر والانيق. غرفة لوريل

مغلقة جدرانها بالورق الوردي المقلّم بالفضي. الستائر وغطاء

السريير كلها وردية. الاثاث الابيض المذهب، منشور على البساط

السميك الرمادي. أما غرفة ايفون، فلونها ليلكي واصفر.

قالت ايفون:

- لم أكن أتوقع سريراً بهذا الشكل وأثاثاً من السنديان الاسود

ولوحات تمثل المغامرين الاسبان الذي غزوا أميركا آه، لو كان أبي

هنا، لاعمجب بذلك.

أطلقت لوريل زفرة عميقة وجلست على السرير. فسألتها ايفون

قلقة:

- ماذا بك؟

- آه، يا الهي! كيف نسيت؟

- نسيت ماذا؟

- المهمة التي أوكلني والدك بها!

- آه، لا تقولي بأنك لم تصرّحي للكونت عن سبب اقامتنا في هذه

الجزيرة...

- لا! خلال اليومين الفائتين حدثت امور كثيرة، جعلتني انسى

كلياً هذه المسألة.

ماذا سأفعل الآن، يا الهي كيف سأبوح للكونت بأنني جئت

بهدف استكشاف المكان؟

- لكن ذلك ليس ضرورياً!

- بل وهذا من واجبي. ليس لدي الخيار.

قالت ايفون بحماس:

- أنا لست من رأيك. فكري بالأمر ملياً. انها فرصة رائعة لنا، ما

دعنا في القصر. فسبقول لنا الكونت كل شيء ويدلنا على كل شيء.

وهكذا نربح الوقت.

- كلا، لا أريد ذلك. هذا غش وتضليل.

- آه، لا تبالغي . انت ما تزالين في المرحلة الاولى من الاستكشاف وبامكانك ان تتوقفي عند هذا الحد . والكونت لن يعرف بالامر . نهضت لوريل وقالت :

- لا يمكنني ان اقلعه بانني هنا سائحة وحسب . سأقول له الحقيقة في أسرع وقت . آه، لا اجرؤ على التفكير برده فعله تجاه ما سأبوح له .

- آه، ارجوك، نحن محظوظتان لوجودنا في هذا القصر الجميل، كأنه حلم لا يصدق . وأخشى التفكير في توضيب حقائبنا من جديد والرحيل !

ران صمت طويل . بعده اقتربت ايفون من لوريل، المتكئة على النافذة :

- لوريل . . .

- نعم .

- هل يملك رأي انسان غريب، الى هذه الدرجة؟

- كلا، طبعاً . لكنني ممزقة، هل تفهمين؟ لا أقدر ان اخذع رجلا يقدم لي ضيافته .

احتجت ايفون وقالت :

- اسمعي، يا لوريل، لا تقلقي . لم يدعونا الكونت الى هنا إلا بهدف واحد، وهو ان نسلي ابنة عمته المدللة . وها نحن الآن في مستوى الانصاف، اليس كذلك . هذا المنطق ليس مقنعاً .

- ربما . لكن ماذا سيقول أبي، اذا رأنا عائدتين . . .

حدقت لوريل بصديقنها بنظرة حاذقة وفهمت ما تعنيه . انصافت ايفون بتوتر :

- ومتى أصبح رودريغو دي رينزي على علم بمهمتك، سيرميننا خارج القصر . . . وخارج الفندق أيضاً . ولن يعود لنا سوى الرحيل، وستسأل أبي عن سبب عودتنا الباكرة . فساضطرا ان ابوح له بكل شيء وسيقول ان ذلك حصل بسببي أنا .
- لكن لا . كيف يمكننا ان نفكر مسبقاً بأن الامور تحولت الى مأساة؟

اغرورقت عينا ايفون بالدموع السخية وناحت تقول :
- بلى، انها غلطتي . لولاي ما حصل شيء من كل هذا . وسيعرف والذي ذلك . من دون ان نضطر الى اخباره . لقد سببت له حتى الآن المشاكل العديدة . . . ولا . . . ولا أنوي ان . . . أنزل للعشاء .
- لا، يجب ان تنزلي الى العشاء، فقط من أجل اللياقة .

- هل . . . هل ستقولين له عن هدف مجيئنا الى هذه الجزيرة؟
- لا أعرف . سأفكر بالامر .
- في حال أردت ان تقولي له الحقيقة، أرجو ان تفعل ذلك في غيابي . ان والذي هو الذي يريد تطور السياحة في هذه الجزيرة . وأنت لا تفعلين سوى تنفيذ أوامره .

وعدتها لوريل بذلك . لكنها شعرت بثقل على قلبها وهي تدخل بعد قليل الصالون الواسع حيث كان ينتظرهما الكونت . هذه الخدعة تتناقض والقيم التي تتحلل بها لوريل . لكن، اذا كانت صريحة، وباحت بالحقيقة فسيكون لذلك عواقب جمة على مشاريع مديرتها، وبالتالي على صحة زوجته . لو تصرف الكونت بطريقة متعالية ومقينة، كما فعل في الأمس، لكانت الامور أسهل بنظر لوريل . لكن للأسف، أظهر هذا المساء لطفاً كبيراً موضحاً جاذبيته تجاه ضيوفه . كانت غرفة الطعام واسعة وأثاثها قديم العهد . الاضواء الآتية

تمنت له ليلة هنيئة وخرجت من الغرفة متعائلة. قلبها ينبض
بسرعة مجنونة داخل صدرها. ماذا تعني هذه البهجة الغريبة التي
تحتلها؟

من الثريات العالية تتمايل على الاية الفضية الفاخرة. خادم صامت
يقدم الطعام الشهي: شمام مثلج وسلطة فاكهة البحر وأرنب مطبوخ
مع الخضار الناعمة والأرز...
تمياً للوريل بأنها تعيش القصص الخرافية. ويدا رودريغو دي
رينزي انيقاً أكثر من العادة في بزته السموكينغ وقمصه البيضاء
المكسرة. الضوء الخافت خلق جواً خرافياً.
وخلال الحديث قال:

- أوكلتني جدتي ان أتمنى لكما اقامة سعيدة بيننا. فهي ستفرح
ارؤ يتكما غداً. صحتها مرهقة ولا تخرج من شقتها الا نادراً وخادمتها
تدللها كولد صغير.

تساءلت اوريل اذا كان احد آخر من أفراد عائلته يعيش في
القصر، لكنها لم تجرؤ على سؤاله.
كان الليل جميلاً ومنعشاً. خرجوا الى الشرفة بعد العشاء.
رودريغو دي رينزي يدبر الحديث باسترخاء وراحة. وايفون تشاركه
بحماس. أما لوريل فكانت متوترة، شاردة في تأملها البحر وضوء
القمر. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل عندما قال الكونت
فجأة:

- آه، المذرة. أخشى ان أكون قد اتعبتكما. لا شك أنكما ترغبان
في فك حقائبكما والذهاب الى النوم.
أرسلهما الى أسفل السلم وانحنى أمامهما محيياً. صعدت لوريل
وراء ايفون، عندما توقفت فجأة لدى سماعها صوتاً آمراً:
- آه، لقد نسيت، يا آنسة دانواي... هل بإمكانك ان أحدثك
لحظة...
انتظرها الكونت كي تهبط. قلبها ينبض بسرعة. ادخلها الى

www.rewity.com/vb

بسبب الامراض العصبية .

- الظاهر انها تلاطفك وتحبك . . .

- آه، احياناً تمر بوحدة قاسية . لكن العمر لم يضعف مقدرتها

العقلية .

- سأطلب غالباً اذا طلب مني قضاء معظم نهاري في قراءة الشعر

أو مناقشة كتاب، خاصة مع الذين عاشوا في القرن الماضي . من

جهتي، افضل الشاطيء . الى اللقاء .

وضعت ايفون مئزر السباحة على كتفيها وخرجت من الغرفة

مسرعة . تبعتها لوريل بنظرها وتمنت لو تكون مكانها .

انها الآن في القصر منذ ثلاثة ايام . وايفون في اوج النشوة لانها

تحب الخيل . اختار لها رودريغو حصاناً صغيراً وأخذ يرافقها كل

صباح على ظهر حصانه الاسود الذي يدعى سيزار . ويرفقتة وجدت

دليلها المثالي، كانت ايفون تكتشف محاسن الجزيرة بفرح كبير . في

نهاية هذه النزعة يلتقي الجميع لاحشاء القهوة في شقة دونا لويزا .

وبعد الظهر تذهب الفتانان الى البحر للسباحة وللتشمس، أو

تتنزهان في الحدائق العطرة التابعة للقصر .

اظهر الكونت عن حسن ضيافة . واعجبت ايفون بالمغازلة السرية

التي كان يظهرها الكونت تجاهها . اما لوريل فكانت تتصرف بتحفظ

تام . ضميرها لم يجعلها تسترح لحظة واحدة .

وبتهد عميق، خرجت من غرفتها، وتوجهت الى شقة جدة

رودريغو . الخادمة ماريا، وصيفة دونا لويزا، فتحت لها الباب .

كانت المعجوز جالسة في مقعد مريح، قرب الباب الزجاجي المفتوح

على الشرفة . عصاها الفضية موضوعة على كرسي قربها . وعلى

الطاولة تلة كتب مجلدة . ولما رأت المعجوز ضيفتها تدخل تلالا

٦ - قيثارة ونجوم

- آه، ما اجمل الحياة!

هذا ما قالته ايفون وهي تتأمل اظافرها الجميلة المطلية باللون

الوردي ثم سألت لوريل:

- ما رأيك بأصابع يدي؟

ابتسمت لوريل وقالت:

- اصبحت فتاة مترفة! اذن، هل انت مسرورة بدروس

الفروسية؟

- نعم، جداً . وانت، اخبريني عن الجلسات الشعرية التي

تقضيها مع الدونا لويزا .

- يا لها من عجوز رائعة! للأسف ان تكون معجوزة في غرفتها .

فجأة اصغت السمع، عندما فوجئت بزغردة العصافير المتناغمة.
ولما رأت دوناً لويزا الدهشة على وجه الفتاة، ابتسمت ثم
قالت:

- جوزيه يطعم الآن عصافيري. ستريها بعد قليل.
ينتهي المرء امام باب مركب داخل جدار مرتفع ومغطى بالورود
الليلكية والزهرية. فتحت لوريل الباب، ودعت العجوز الى
الدخول قبلها، ثم لحقتها، ووجدت نفسها في حديقة اخرى واسعة
ومستديرة تحيط بها الشجيرات العديدة والأشجار المزهرة. وسطها
اقفاص كبيرة، مخصصة لتربية الطيور، وداخلها عشرات العصافير
الملونة تطير في كل الاتجاهات. داخل قفص جوزيه يرمي للعصافير
الحبوب والعصافير تغط على رأسه وعلى كتفيه.

لوريل لا تحب أن ترى العصافير داخل القفص. في بعض
البلدان عادة بربرية لجعل العصافير عمياناً، لا يرون، بغية ان يفردوا
افضل. لذلك اسرعت وراء السياج للتأكد من ان العصافير امامها لم
تخضع لهذه التربية البربرية.

فقالت لها الكونتيسة وكأنها عرفت مخاوفها:

- لا تقلقي، يا ابنتي الصغيرة. عصافيري يمتنى بها جيداً.
انظري... فعلنا كل ما في وسعنا لنخلق لها اطاراً طبيعياً. لديها
المسافة اللازمة لتطير وتتناسل. ولؤكد لك بأنها تعيش هنا وقتاً اطول
من عمرها في الغابة.

اطمأنت لوريل واسترخت. راحت الكونتيسة تمشي بصعوبة
وتقول:

- والآن، اذا اردت، سنجلس لحظة، هنا في الظل لتلا يتأثر لون
بشرتك الانكليزية!

عينها السوداوين. انها في الثمانين من عمرها. وبالرغم من داء
العصبي الذي شوه مفاصلها، ما زالت مستقيمة كالعصا. ووراء
تجماعيد وجهها آثار للملامح جمال جذاب. ابتسمت وقالت:
- اهلاً وسهلاً بك، يا لوريل. اجلسي قربي. والآن، يا ماري،
بامكانك تركنا.

جلست لوريل على مقعد مريح مصنوع من القش، النسيم
الليليل يجلب معه مئات العطور من الحديقة وطنين النحل الباحثة عن
اربع الزهور. ووراء قنطرة من العريش سبيل رخامي، تهدر مياهه
ببطء.

سألت دوناً لويزا:

- هل تعجبك حديقتي؟

ابتسمت لوريل وأجابت:

- انها حقاً رائعة.

- صممها حفيدي من جديد، منذ ستين، حتى يصير بامكاني
التنزه فيها بالرغم من عجزي. سأريك زاويتي المفضلة. هل
باستطاعتك ان تتأبطي ذراعي، من فضلك؟

- بكل سرور، يا سيدتي.

نهضت لوريل وقدمت لها العصا. وبصعوبة نهضت العجوز
واجتازت الشرفة ببطء ثم اخذت المر الواسع المتعرج وسط العشب
والزهر... دوناً لويزا تعرف كل زهرة باسمها. فقالت:

- اختار رودريغو افضل الزهور التي احبها. انه حفيد طيب.

وأنت، يا ابنتي، الا تجدينه كذلك؟

قالت لوريل بتهذيب:

- طبعاً.

امضنا وقتاً ممتعاً تحت العرائش تثرثران في مختلف المواضيع .
وسرعة عادت العجوز من جديد تتحدث عن حفيدها الذي تحبه
كثيراً . بعد وفاة والديه بحادث طائرة، تكفلت هي بتربيته . كان
حينذاك في السادسة عشرة من عمره، وهي ارملة منذ وقت
قصير .

همست لوريل ببعض الكلمات اللطيفة، فرفعت العجوز كتفها
وتابعت تقول:

- القدر كان قاسياً علي . . . فقدت زوجي وابني الوحيد في وقت
قصير جداً . . . لكن المسؤولية الكبرى وقعت على ظهر رودريغو
الذي لم يتته من دراسته، انما وجد نفسه بين ليلة وضحاها، على رأس
املاك واسعة مثل فالديروزا .

ديونا لويزا انجبت ثلاث بنات . الكبيرتان متزوجتان والصغيرة،
كونستانس، قررت ان تعيش في فالديروزا .
- لقد عارضنا جميعاً زواجها مع رجل لم يكن يناسب العائلة، ومن
ثم، رفضت كل الذين تقدموا بطلب يدها . هل تندم الآن لأنها
تمتعت بالاستقلال؟ اي شيخوخة تنتظرها في هذا القصر الذي
ستحكمه قريباً سيدة اخرى؟ ذلك لانه من الضروري ان يتزوج
رودريغو، في النهاية .

يا لكونستانس المسكينة! انها ضحية التقاليد الاسبانية البالية التي
تقرر مستقبل بناتها من دون اي اعتبار للمواطن . واحتراماً للمرأة
العجوز، فضلت لوريل الصمت . هل سبق واختارت لرودريغو
زوجة؟ من تشبه؟ هل تتمتع بجمال اسمر وشعر لماع وعينين
مخمليتين وطباع نارية؟ كادت ان تسأل العجوز عندما اضافت هذه
الاخيرة قائلة:

- للأسف، كارلونا تشبه عمته كونستانس واسوأ ايضاً منذ
طفولتها وهي تعاكس النظام وجميع النصائح . هل اخبرك رودريغو
عن مغامرته الاخيرة؟ انها حقاً فتاة وقحة .
اطلقت زفرة عميقة وتابعت تقول:

- في مرحلة معينة من عمرها، وجدها اهلها المرأة المثالية
لرودريغو، بالرغم من ان الزواج بين ابناء العمات والعموم لا ينصح
به . في كل حال من المستحيل معرفة ما يفكر رودريغو به في هذا
الخصوص . انه يجعلني اتساءل احياناً اذا كان امراً عاقلاً عندما
ارسلناه الى انكلترا لانهاء دروسه . عاد الى هنا حاملاً افكاراً واسعة
ومتقدمة بالنسبة لذوقنا . . . غداً، ستجابه مع كارلونا . ورودريغو
محظوظ للابتعاد عن ابنة عمته ومزاجها السيء .

سألته لوريل بابتسام:

- انها ما تزال صبية، اليس كذلك؟
- نعم . ولا احد بإمكانه ان يفرض عليها الطاعة! سترين ذلك
بعينيك .

- اعتقد بأنها ستكون بحاجة الى صداقتي .

- لا تدافعي عنها . في كل حال ارى بأن حفيدي مخطيء لتحمل
مسؤوليتها . انه يضحى كثيراً لعائلته ولفالديروزا .
- لكنه ورث القصر عن والده .

- نعم . لكن هذا القصر الشاسع يتطلب مهمة ثقيلة . الجزيرة
تعيش في اقتصاد مغلق وأموالنا حلالنا . لا يوجد بلد مثلنا باستطاعته
ان يفتخر حالياً بهذا الانجاز الباهر . لكن لا تتصورني ان ذلك نتيجة
معجزة وحسب . الشباب اليوم يرغبون في الحضارة، وبامكانهم
الاستسلام لمجتمع استهلاكي بسهولة . اذا كان التوسع مرغوباً به في

بعض البلدان، أخشى ان يكون هنا كالكارثة.

بعد دقائق صمت، قالت العجوز فجأة:

- لكنني أتكلم كثيراً، يا صديقتي الصغيرة. انا خجولة من هذه الثروة هيا نرجع الآن.

ولما وصلنا الى الشرفة حيث كانت ماريا تنتظر معلمتها، ظهرت ايفون بثياب الفروسية، فرحة من رحلتها الصباحية. لكن لم يكن لرودرغو اي اثر.

قضت الفتانان بقية النهار في استكشاف القصر الرائع الذي يحتوي باستمرار على مواقع خلابة. وفي أواخر بعد الظهر، ذهبتا الى المرفأ لشراء البطاقات البريدية والطوابع. ولما عادتا الى القصر كانت الشمس قد غابت وحل الظلام.

وكالعادة كان العشاء لذيذ الطعم وصاحب القصر اللطيف من العادة. دونا لويزا تشاركهم مائدة الطعام ولوريل لا تتوقف عن التفكير بما قالته لها العجوز في الصباح.

وبدأت تفهم، الآن، طباع روبرغو المتعجرف، ذلك لأنه تحمل باكراً المسؤوليات الضخمة. من دون سلطته وطاقته الكبيرة، لربما عرفت الجزيرة البؤس، ولربما بيعت فالديروزا بالمزاد العلني. وبدلاً من هذا كله، «جزيرة المصير» تعيش سعادة هادئة. فوق المرفأ الصغير وسط الحدائق الرائعة المزهرة، نرى المدرسة الحديثة والمستشفى، وخلف كل هذا نرى يد صاحب الجزيرة. من غيره بانتطاعته ان ينظم ويقرر وينسق؟

هذا ما فكرت لوريل به بينما كانت تحتسي القهوة... فجأة شعرت بصمت غير اعتيادي، فرفعت رأسها، في هذا الوقت بالذات نهض روبرغو وقال:

- المعذرة، انا مضطر لتترككن. لدي رسائل ملحة علي ان انتهي

منها هذا المساء. جوزيه تحت تصرفكن عند الحاجة.

ولما اختفى الكونت، بدت الغرفة باردة وفارغة. فصرخت الكونتيسة بخيبة أمل:

- هل رأيتها؟ انه لا يستطيع التوقف عن العمل لحظة واحداً الواجب دائماً الواجب! أتوسل اليه ان يتزوج وان ينجب الأولاد والوقت يمر، واذا استمر على هذا المنوال، سيصبح كبيراً في السن. من سيرث بعده؟ وماذا سيحل بجزيرتنا؟ لكنه يرفض الاصغاء الي. ابتسمت لوريل بلطف وقالت:

- آه، يا سيدتي، حفيدك ما زال شاباً.

- لكن الوقت يمر بسرعة. وذات يوم، نصحو ونرى بأن الشباب

قد ولى وقد ابيض شعرنا ونحزن.

ولما رأت لوريل عيني العجوز تغرورقان راحت تبحث عن شيء مريح للقول. لكن ايفون سبقتها وقالت:

- لكن، يا سيدتي، لا يجب ان تنظري الى الامور هكذا. المهم،

كي لا نشيخ، ان نبقى شباباً في قلوبنا.

فوجئت دونا لويزا بهذا اللطف غير المنتظر، وأجابت مبتسمة:

- انت علي حق، يا صغيرتي. لكن علي اقناع جسمي المحرم. هيا،

لنحاول ايجاد موضوع آخر، مسل ومفرح! وقبل ذلك، يجب ان

نطلب من جوزيه ان يجلب لنا العصير.

جسم العجوز متعب، لكن عقلها ما زال فتياً وذاكرتها لا

تخطيء. ولمدة ساعة بكاملها، راحت تقص على الفتاتين عهد شبابها

وزواجها وحياتها في الجزيرة. فجأة قالت باستغراب:

- لكنني امرأة ثرثرة جداً، كجميع النساء الاسبانيات.

وبعدما اوصلت الفتاتان العجوز الى شقتها وسلمتاها الى الخادمة ماريما، عادتا الى الصالون: فقالت لوريل:

- سأقوم بنزهة قصيرة في الحديقة. هل تأتين معي؟
- كلا. عليّ ان أغسل شعري. فلم يتسن لي الوقت الكافي قبل العشاء. اصرّ على الظهور بمنظر حسن لدى وصول كارلوتا.
- كوني صريحة يا ايفون، ليس من أجلها فقط ترغين ذلك...
- في كل حال، انه مسافر غداً، أليس كذلك؟
ثم خرجت ايفون من الغرفة.

توجهت لوريل الى الحديقة، حاملة واجتازت الساحة الكبرى المضاءة بالمصاييح الحديدية التي تبث نوراً خافتاً، ثم فتحت الباب الحديدي الذي يؤدي الى المشتل. الهواء كان فاتراً وعطراً. وسط الشجيرات والنباتات العطرية، وجدت ممراً يصل الى شرفة صغيرة تطل على المحيط. استندت لوريل على الحائط المغطى بالنباتات المتسلقة، وراحت تتأمل مطولا الخليج الشفاف تحت ضوء القمر. اضاعت تمييز الوقت، وانسحرت بجمال المنظر الخلاب وتحدرت في خليط العطور الحلوة والمالحة ولم تعد تستطيع ان تتشغل حالها من هذه النشوة.

فجأة، في هذا الليل الصامت، سمعت موسيقى قيثارة قريبة منها. تقلصت لاشعورياً وقررت العودة. شيء ما تحرك في ظل الشرفة، فانتفضت.

- هل اخفتك؟
القيثارة سكنت وميّزت لوريل اللون الابيض لقميص رجل.
واقفلت يد على معصمها. ووجدت نفسها قرب رودريغو، تحت عريشة صغيرة.

- هل انت مستعجلة للعودة الى الداخل؟
- كلا... لكن، لم اسمعك قبل ان تبدأ بالعزف انا آسفة لزعاجك.

ابعد يده عنها ووضع القيثارة على المقعد الحديدي بجانبه، ثم قال:

- لكنك لا تزعجينني ابدأ، بالعكس. هيا، اجلسي هنا. جلست لوريل بانزعاج وقالت:

- لم... لم أتوقع ان أجدك هنا... في هذه الساعة...
- ولم لا؟ ألا يحق لي، انا ايضا، ان استرخي قليلاً؟ وجدت بأن الموسيقى هي الوسيلة الفضلى للبرهان عن وجودي من دون ان أخيفك. هل كنت غطناً؟

لم ترد عليه مباشرة، بل قالت:

- اكمل، يا رودريغو. سأصغي الى عزفك قليلاً، لو سمحت
- بكل سرور، يا عزيزتي.

تناول القيثارة وراح يعزف عليها. اصغت اليه لوريل بفرح كبير. عزفه يتحدث عن الحياة والحب والشغف. ولما تبخرت الموسيقى في الصمت، أصدرت لوريل زفرة عميقة وقالت:

- يا لهذا العزف الجميل!

- هل فاجأتك؟

- نعم.

- لكن موهبة الموسيقى والرقص تولد معنا هنا!

- اعرف. ولم أكن أنصوب بأن الوقت يسمح لك باتقان هذه الموهبة

وممارستها.

- آه، الظاهر ان جدني اخبرتك الكثير عني!

فجأة رفعت لوريل رأسها واشتبكت نظراتها بالعينين السوداوين
البراقتين، وبدأت تقول بتردد:
- كنت أتساءل...

- ماذا؟

- منذ قليل؛ قلت بأنك مشغول وعليك كتابة الرسائل. ألا
يمكنني مساعدتك خلال مدة اقامتي؟ أنا سكرتيرة وفكرت انه بإمكانني
ان أطبع لك الرسائل او الفواتير، على الآلة الكاتبة. سأتمكن من
شكرك على ضيافتك بهذه الطريقة المتواضعة.
لم يرد عليها فوراً. وبدأت لوريل تندم على انفعالها المباشر. اخيراً
سألها بابتسامة غريبة:

- لهذا السبب كنت مهمومة منذ قليل؟

عرفت بأنه يسخر منها، فعضت على شفتيها وقالت بتلعثم:
- ... ربما...

- أنا متأثر بذلك كثيراً.

- المهم ألا تكون غاضباً.

- ولماذا أغضب؟

- الظاهر، وللأسف، بأنني املك موهبة اغضابك، حتى عندما لا
أكون أرغب في ذلك.

حكّ ذقنه بأصابعه الطويلة النحيلة وسألها:

- هل يعني كلامك هذا بأنك تخافين مني؟

- كلا. لكنني أعارض طريقتك في ممارسة العقاب!

- هه، هه! لكن المذنب عادة لا رأي له في العقاب...

- هل من عادتك، اذن فرض العناق العنيف؟

- لكن، يا عزيزتي، لم أجد، حتى الآن، افضل من هذا العقاب

- لندخل قبل ان نفقد وعينا.

عادا الى القصر صامتين. أمسكها رودريغو بذراعها لثلا تتعثر.
وفي اسفل السلام، رفعت لوريل نظرها اليه ولم تر شيئاً في تعبير وجهه
الجامد. أبعدت رأسها بسرعة كي لا تقرأ الحقيقة. فقال لها:

- مساء الخير، يا لوريل.

همست هاربة:

- مساء الخير.

www.rewity.com/vb

القماش يتمايل حول خصرها النحيل والقميص الناعمة أبرزت
أنوثتها. في هذه البزة بدت أنيقة. سرحت شعرها وتركته ينسدل على
كتفها شلالاً ذهبياً. تعطرت وتحمّرت ثم خرجت من غرفتها،
والتقت بايفون على السلام، وكادت ان تضمها بين ذراعيها، من
شدة الحماس. لكن سألتها:

- هل نمت جيداً؟

لكن مزاج ايفون لم يكن مبتهجاً، فرفعت كتفها وتمتت:

- نعم... كالعادة. انت فرحة، مرحة، هذا الصباح.

- ولماذا لا أكون فرحة، مرحة؟

- لكنك غريبة على غير عادتك!

احمرت لوريل بقوة، وتساءلت اذا كانت ايفون قد رأت ما حصل
بالأمس مساء.

- يا الهي، قولي ما الذي لا يعجبك في منظري.

تسمرت ايفون مكانها من شدة الضحك وقالت:

- لا شيء. انت رائعة حتى الكمال، وكالعادة. لكن هذه اول

مرة ارى شعرك منسدلاً على كتفك. وهذا القميص... رائع!
- شكراً.

- وكل هذا على شرف من؟

- لا تكوني حمقاء، يا ايفون.

- حسناً. انها قضيتك ولا أريد التدخل فيها. لكن، هل

باستطاعتي استعارة قميصك ذات يوم؟

- طبعاً.

هبطت ايفون السلام وهي ترندح لحن أغنية. فجأة توافقت

وسألت لوريل:

٧- وصول الشيطانة

وفي اليوم التالي استيقظت لوريل في حالة من النشوة العالية. هل
حلمت بلحظة الأمل العاطفية؟ كلا... مجرد تذكر تلك اللحظات
الرائعة، يشعرها بالقشعريرة. ارتدت ملابسها ونظرت الى نفسها في
المرآة بحيرة وارتباك متأكدة بأن كل خلية فيها تهتف للحب. لكن لا
شيء يبدو على وجهها المالس، ما عدا ابتسامة صغيرة في زوايا شفيتها
المرتحفتين، ونظرة مندهشة.

لم تعجبها هذه الصورة في المرآة، فراحت تخلع بسرعة الثوب
القطني الأزرق الذي ارتدته. فتحت خزانتها وراحت تبحث في
داخلها عن شيء أجمل تلبسه. فقررت أخيراً اخراج قميص فلاحية
مطرزة لم يسبق ان ارتدتها من قبل، وتنورة حمراء واسعة مكشكشة.

- أين كنت مساء أمس؟ أردت ان استعير منك شامبو الشعر ولم استطع العثور عليك. وتساءلت ما يمكن ان يكون قد حل بك.
- وماذا يمكن ان يحل بلوريل؟

هذه الكلمات صدرت عن رودريغو الواقف على عتبة باب الصالون. فأجابته ايفون ضاحكة:

- من يدري ربما خطفها شبح الجزيرة!

توقفت لوريل على الدرجة الأخيرة من السلم وتسمرت مكانها امام نظرات رودريغو الذي كان يفصلها من رأسها حتى الخمص قدميها، لكن من دون حرارة. منذ متى هو هنا؟ ماذا سمع من ثرثرة ايفون الطائشة؟

قال بحركة انيقة:

- تعالي، الفطور جاهز.

لم تشعر في نبرة صوته بعض الملل كأنها تلقت دوشاً بارداً نشوة الأمس لم تكن الا حليماً عابراً اختفى بسرعة. وعاد رودريغو، الرجل المتعجرف، المتكبر ذا المزاجات غير المتوقعة.

بعد الفطور اعتذر الكونت أمام ضيفتيه لشدة انشغاله، أما دونا لوزا فلم تخرج من شقتها لشدة ألمها من داء المفاصل. والخدم منشغلون، يركضون في جميع الجهات تحضيراً لوصول كارلوتا.

ولما توجهت الفتاتان الى الشاطيء، قالت ايفون:

- يا لهذه الحركة الدائمة داخل القصر! أمل ألا تكون كارلوتا فتاة صعبة ومتسلطة. من الأفضل ان تفكر ملياً قبل ان تعطيني الأوامر.

ذكرتها لوريل بنبرة هادئة:

- لا تنسي بأننا هنا بسببها.

- أنت هنا بسببها. أما أنا، فلا دخل لي بذلك. أنت من سيهمهم

بها ويراقبها خلال غياب صاحب القصر.

لم تنس لوريل مهمتها الجديدة. ومع مرور الوقت واقتراب موعد وصول الباخرة، شعرت من جديد بالقلق يحثلها. ماذا سيحدث اذا كانت كارلوتا فعلاً عنيدة والجميع يتحاشونها، لكن، هل رودريغو على حق عندما أكد لها بأن ابنة عمته ستصرف تصرفاً حسناً كسيدة منزل في غيابه وماذا اذا قررت كارلوتا ان تعود في أول باخرة، حين يتعد رودريغو عن الجزيرة كيف بإمكان لوريل ان تمنعها من ذلك؟ بعد الخامسة بقليل، رأت لوريل من نافذة غرفتها صاحب القصر يتوجه، بلا شك الى المرفأ. في مشيته نبرة عاتبة أكيدة، كأنه مستعد لمجابهة أي شيء.

دخلت ايفون الى غرفة لوريل وراحت تبحث في مساحيق الزينة ونقول:

- هل بإمكانني ان استعير ازرق العيون، يا لوري، حنجري تعطل.
- طبعاً.

تقدمت ايفون من النافذة في الوقت الذي أقفلت فيه سيارة الكونت. فقالت، بعد عبسة متأسفة:

- آه، أما كان بإمكانه ان يأخذنا معه!

- لسنا من أفراد عائلته.

قالت ايفون وهي تتعد عن النافذة:-

- نعم، لكن نحن هنا بسبب ابنة عمته.

ولما رأت ايفون ثوباً ابيض ممدداً على السرير، سألت:

- هل ستغيرين ملابسك بهذه السرعة؟

- نعم. اشعر بشيبي مبللة بالعرق وملتصقة على جسمي، بعد هذا

النهار الذي قضيناه على البحر. سأخذ الآن دوشاً ساخناً.
- إذا كنت تريدان ارتداء ملابسك، الآن، في هذه الساعة، انت
حرة. اما انا، فسأخرج.
- لا تتأخري.

- نعم. نعم. سأحاول.

صفتك الباب وعضت لوريل على شفتيها. تعرف عدم جدوى
نصائحها تجاه هذه الفتاة المستقلة. يبقى ان تأمل بان تعود ايفون في
الوقت المحدد ولو تهدياً.

كان البهو الواسع فارغاً. اشعة الشمس تظهر لمعان الخشب
الاشقر، والأرض الخشبية البراقة وتبث هالة ذهبية على باقات الزهر
الملونة الموضوعة في كل مكان.

قامت لوريل بخطوات قليلة في الساحة. ثم ألقت نظرة الى
الحديقة. لا اثر لايفون. دخلت وتوجهت الى المكتبة وأخذت كتاباً
وبدأت تقرأ فيه. لكنها لم تستطع التركيز كلياً. بين عينيها والكتاب
تظهر الصورة نفسها. بعد قليل أغلقت الكتاب. من المستحيل ازالة
ذكريات الأمس من مخيلتها. رودريغو عانقها تحت ضوء القمر. وماذا
بعد؟ لماذا تعلق على هذه القصة اهمية كبرى صحيح ان دقائق النشوة
أيقظت عند لوريل احساساً لم تشعر به من قبل.

لكن اذا كان هذا الاحساس نتيجة انجذاب لا أكثر، هل يعني
انها تحبه ...
وأول احساس تجاهه لم يكن نابعاً من

عدائية قوية كيف بإمكانها ان تنسى هذا اللقاء الاول ...

لم تعد قادرة على البقاء مكانها، نهضت وراحت تزرع الغرفة ذهاباً
اياباً، بخطوات حازمة وتقول لنفسها بضرورة التعلل وعدم
الاستسلام للأحلام العاطفية العابرة. لا جدوى من بناء قصور على

الرمال. ألم يسبق ان اعتقدت مرة بأنها مغرمة واليوم عندما تفكر
بفيليب، فلا يخفق قلبها بسرعة. ماذا اذن والوضع الآن ليس هو
نفسه؟

شعرت لوريل بقشعريرة تجتازها لمجرد تفكيرها بسلطة رودريغو
عليها. وصلت الى جزيرة المصير وقلبيها فارغ اصبح هذا القلب مليئاً
بالحب. ولم يعد ملكها ...

وبعد هذا التفكير العميق، وجدت نفسها بحالة يرثى لها وفضلت
العودة الى غرفتها. وما ان صعدت السلالم حتى سمعت أصواتاً
وخطوات مسرعة. أدارت رأسها ورأت رودريغو على عتبة باب
المدخل. ووسط البهو تطف فتاة تحديق بها بعينين براتين.

انها كارلوتا. . . قصيرة القامة ونحيلة، ذات وجه طويل وبشرة
جافة وشعر اسود. كانت ترتدي بزة معروفة لدى جيل الشباب:
سروال جينز باهت اللون، وسترة مبطنه فوق قميص مقلمة.
قال الكونت بصوت بارد:

- هل بإمكانك ان تتركينا وحدنا لحظة، يا لوريل؟
شعرت بارتباك وأجابت:
- طبعاً.

لكن قبل ان تتقدم خطوة، كانت كارلوتا قد أصبحت قريباً.
نظرت الى رودريغو بتحدٍ وقالت:

- لماذا تريد يا رودريغو من هذه الفتاة ان تبعد عنا. ليست
خادمة، على ما أظن.

- كارلوتا، أرجوك، دعي التمثيل جانباً، من فضلك!

- آه، أنت خجول مني، وخجول من بزتها وتسجنني في هذا
القصر من أجل مقاصصني! ثم نفرض على هذه الفتاة الانكليزية بيننا

تذهب وتلهو بعيداً. دعني على الأقل، انظر بتفصيل الى حارستي الشريرة. اصر على رؤيتها بأسرع ما يمكن!
وبسرعة نظرت كارلوتا نحو لوريل وحدقت اليها بوقاحة.
تقلصت لوريل امام هذه الشتيمة. وأوشكت على التدخل، لكن الكونت اقترب منها. وقبل ان يفتح فمه، كانت لوريل قد استعادت رشدها وقالت:

- لست خادمة ولست حارسة شريرة، يا آنسة. والان اتركك آملة ان يصحح ابن خالك الامور، ولا يقدمك الي خطا.

القت الى رودريغو بنظرة غاضبة واجتازت البهو قبل ان تخرج من باب الحديقة. ولما وصلت الى الشرفة كانت ترتجف غضباً. تقدمت من سبيل الماء ومدت يدها تحت المياه الناعمة المنعشة. شمس المغرب تعكس على الحجارة القديمة نوراً شفافاً وذهيباً. لكن لوريل لم تكن حساسة الآن حيال هذا الجمال الذي يحيط بها. كلام كارلوتا الحفير يتابعها. آه، هكذا وصفها رودريغو لابنة عمته!

- هل انت غاضبة، يا لوريل؟

ادارت رأسها بسرعة. كان رودريغو قريباً. لم تسمعه حين وصل.

- اليس هذا من حقي؟

ابعدت نظرها عنه وحدقت بالماء الملونة بأشعة شمس الغيب.
فقال:

- ابنة عمتي تصرفت بصورة حقيرة منذ قليل. وأنا متوتر جداً وآسف ايضاً.

- شكراً.

ران الصمت ولم تجرؤ لوريل على النظر اليه مباشرة، لأنها اذا

رأت في عينيه ملامح سخرية، مستفجر بالبكاء. لكن، ما الذي جرى لها، ما بها واقفة؟ مثل والد ابوس؟ تشجعت وقالت بصوت ناعم قبل ان تدير ظهرها:

- لنس هذا، من فضلك.

لكنه تمسك بيدها بقوة وقال:

- لوريل...

- اذن، ماذا؟

- هل انزعجت كثيراً من هذه الفتاة الشيطانة المديمة التربية؟
- كارلوتا ليست شيطانة.

- ربما. لكن تجربتك مع الصغار تفرض عليك ان تكوني قوية امام طفلة مدللة.

حافظت لوريل على صمتها. راح يداعب وجهها ويقول:

- انظري الي، يا ابنتي الصغيرة، هل ما حصل الآن غلطتي انا؟

- نعم. ماذا قلت لكارلوتا كي تأخذ هذه النظرة عني؟

قطب حاجبيه وقال:

- لكنني لا أفهم...

- صحيح!

- نعم صحيح، لا أفهم. لم أقل شيئاً لابنة عمتي كي تأخذ فكرة سيئة عنك.

- لكنك نجحت في ذلك.

- اذن، انت نطابفين الوصف الذي قامت به كارلوتا؟!

- أجدك نافعاً! والآن ابعد عني..

وبحركة غيب منتظرة، رفعها من خصرها في الهواء. قبل ان يجلسها بقوة على...
وامام صراخها راح يضحك من كل قلبه

ويقول:

.. لن أدعك تقومين من مكانك قبل ان نضع حداً نهائياً لسوء التفاهم هذا. اولا كوني أكيدة بأنني لم استعمل ابداً هذه التعابير الفظة عندما حدثتها عنك. ثانياً، ارجو ان تفهمي بأن كارلوتا لا تتكلم الانكليزية بصورة حسنة.

- ارجوك، اتركيني، والا سأقع في الماء.

لكن سرعان ما وجدت نفسها متعلقة بعنقه. حملها من جديد وهو يضحك ثم وضعها على الأرض وما زال متمسكاً بذراعيها. ثم قال: - لا أريدك ان تكوني كلوح الثلج، غير قادرة على الشعور بأي انفعال عاطفي.

آه، لو يعرف حقاً، ما الذي نشمر به وهي بين ذراعيه؟

- يكن جدياً، يارودريغو كنا نتحدث عن كارلوتا. لا شك انك وصفتني بانسانة مثوحشة. ولر كنت مكانها لفعلت الشيء نفسه. - لماذا تترجفين هكذا يا لوريل هل خذت من ابنة عمتي الشقيقة؟ - كلا، طبعاً. لكن...

- آه، لم انتبه. نافورة الماء. اعدريني... لكن ثوبك مبلل حول ذبرك!

ويحركت قوضية حارلت ترتيب هندامها. فقال لها رودريغو اخيراً:

- هيا، يا لوريل، لا أفلت من أجل كارلوتا، ولحسن الحظ انها ما زالت تخاف من جدي. تعالي. لندخل. أنا أكيد من اننا سنجد فتاة هادئة... ولائقة.

رفعت لوزيل نظرة متسائلة نحوه، فقال:

- نعم، امرتها بتغيير ملابسها وارتداء بزة لائقة، قبل ان

تجن جدي.

لما وصلا الى حافة الشرفة، توقفوا. فسألت لوريل، رافعة عينيها القلقتين نحو رفيقها:

- هل ستذهب غداً؟

- نعم.

- كم من الوقت ستكون غائبا؟

- اسبوع، ربما، اسبوعان. لا أكثر. سأعود قبل الاحتفال السنوي.

- هل هذا الاحتفال خاص بالجزيرة؟

- نعم. في هذا النهار نعيد شفيعة الجزيرة، سيدة النبع. ألم تزوري بعد الكنيسة المكرمة لها؟

- كلا. هل هي بعيدة من هنا؟

- انها تقع على بعد سبعة كيلومترات. كل سنة، في العشرين من شهر ايار/ مايو، نحتفل باليوم الذي نبعت فيه المياه، وبالنبع الذي لم يجف بعد، منذ دهور عديدة. من زمان بعيد، كانت الجزيرة تعاني من الجفاف. كان الحصاد يابساً والماشية تموت عطشاً. وبعد الصلوات المتعددة، انبثق الماء من الصخرة. وهكذا كل سنة، بعد الاجتماع الاحتفالي، نقوم بزيارة الروابي الخضراء الواقعة قرب الكنيسة المبنية قرب النبع. وبعدها نحتفل بعيد كبير في حدائق فالديروزا. انها فرصة نادرة، وأنا سعيد لأنك مستشركين فيها هذه السنة.

- شكراً رودريغو. انا فرحة جداً بهذه المناسبة.

وبصمت عادا الى القصر. الابتسامة على وجه الكونت، بينما الانهيار يحتل قلب لوريل. مم هي خائفة؟ هل بسبب رحيل

الكويت؟

حاولت جهداً ابتهام في طريقها الى شقة دونا لريزا. قربها،
وبدت كارلوتا، بثوب ابيض أنيق، كالملاك افاذيء. ولحسن الحظ
أن ايفون كانت قد وصات. لكن لوريل لم تكن تفكر الا بروديغو.
لماذا تخاف على غيابه الى هذه الدرجة؟

٨- المحتالتان

www.rewity.com/vb

وفي صباح اليوم التالي رحل رودريغو مباشرة بعد الفطور
ويحزن عميق حضرت لوريل فترة رحيله. لم تنم طوال الليل،
وتعرف جيداً سبب ذلك. عندما يعود رودريغو ستكون على وشك
مغادرة الجزيرة لنحضر موسم السياحة، وبعد أيام قليلة تحمل
حقائبها مع ايفون وتغادر القصر والجزيرة وكل من فيها وتعود الى
بلادها ومن جديد الى ممارسة عملها. وبينما كانت تنظر الى الكونت
يصعد في سيارته ويوميء باشارات الوداع، شعرت لوريل بالضيق
والوحدة. لكن عليها الانتعاش بان الجزيرة والقصر وصاحبه ستصبح
ذات يوم ذكريات حلوة، ماضية.
ويحزن كبير دخلت البهو تفكر بالندم والحسرة على كل ما عانته

خلال الليل، أجتلت مراراً اخبار الكونت عن سبب وجودها في هذه الجزيرة. في بادئ الامر وجدت طبيعياً ان تكون من جهة مديرها. لكن، مع مرور الوقت، بدأت تشعر بضرورة الإفصاح عن كل شيء. لم تعد تختمل هذا الغش، بالرغم من مخاوفها تجاه ردة فعل صاحب القصر. وبدت لها المشكلة صعبة: كيف ستمكن من اقناع رودريغو بانها لم تقصد أبداً خداعه؟ هل سيفهم الموضوع؟ ولمجرد التفكير... سبه راحت ترتجف من الخوف... اليس أفضل ان تستمر في الصمت، ما دام مكوثها في الجزيرة قد اشرف على نهايته؟ ربما لن تراه أبداً بعد ذلك...

- آنسة...
صوت قوي جعلها تنتفض وتدير رأسها لترى كارلوتا أمامها. أضافت الفتاة الاسبانية بابتسامة واضحة:

- هل تسمحين لي ان أدعوك لوريل؟
طبعاً...
ترددت كارلوتا لحظة قبل ان تتابع قائلة:
- كان يجب ان اعتذر منك مساء امس... وأرجو... ان تعذريني على تصرفي الوقح. لم أكن أعرف ما قلته، لشدة غضبي. هل تسامحين؟

أجابت لوريل بابتسامة دافئة، مندهشة من تغير الفتاة غير المنتظر:

- طبعاً.
- شكراً. والآن بإمكاننا ان...
وصول ايفون السريع قطع كلام الفتاة.
- لوريل، انا ذاهبة الى شاطئ البحر مع كارلوتا. وسأخذ

الحصانين. هل توافقين على ذلك؟
قالت كارلوتا متسائلة:

- لكن، ربما لوريل تريد المجيء معنا، يا ايفون؟
أجابت ايفون بسرعة:

- لكنها لا تعرف ركوب الخيل. كما انها على موعد مع دونا لويزا، كل صباح. هل أنت مستعدة؟

- لحظة. أريد اعلام جدي بذهابنا.

ولما اختفت كارلوتا باتجاه شقة جدتها قالت ايفون:
- اظن أننا سنلهو معاً جيداً!

بعد قليل ذهبت الفتانان الى البحر. والمعجوز شاهدت خروجهما، متكئة على عصاها. ثم قالت للوريل:

- أنا أكيدة من انها ستفقان. مشكلة اللغة غير واردة عند هذا الجيل الشاب. آه، كم تغيرت الامور!
مدت لوريل يدها لتساعد الكونتيسة على دخول الصالون، فقالت لها المعجوز:

- لكن ألم يكن مفروضاً ان تكوني معهما، يا ابنتي. ستضيعين وقتك في سماع حديثي الممل.

أجابت لوريل بلطف وبساطة:

- في كل حال، أنا لا أجد ركوب الخيل. كما لا أشعر أبداً بان وقتي يضيع برفقتك. لن استطيع أبداً ان اشكرك على ضيافتك الحسنة.

- لا يجب المبالغة. أنا اعرف جيداً سبب وجودك هنا. حفيدي لم يخف عليّ هذا الامر.

- لدي أسباب معينة لاشكر رودريغو على كل ما فعله من أجلنا..

- آه، صحيح؟

اذن رودريغو حفظ سرّ ما حصل لها. شعرت لوريل بارتياح وقالت ببطء:

- أنا لا أنسى كيف خلصني رودريغو من ورطة كبيرة، بعد وصولي الى هذه الجزيرة، بأيام قليلة.

ران صمت قصير قبل ان تقول العجوز:

- لا شك انك لا ترغين في استعادة هذه الذكريات المؤلمة. ومهما حدث، أنا سعيدة لوجودك هنا في القصر. كارلوتا فتاة شقية ومتعبة... لكن المهم ان تتفق مع ايفون!

تمنيات دونا لويزا تحققت واصبحت الفتاتان صديقتين حميمتين لا تفترقان لحظة واحدة. وشعرت لوريل بانها وضعتها جانباً. كلما ظهرت امامهما، تسكتان أو تمسمان سراً. واغتصمت لوريل هذه الفرصة لاكمال الملف المطلوب منها من قبل مديرها. كما صورت بضعة أفلام ملونة لن تظهرها الا بعد عودتها. لكنها كانت تجد صعوبة في رسم خريطة جديدة للجزيرة. وحده رودريغو بإمكانه مساعدتها. لكن كيف تطلب منه ذلك؟ أحست بأنها تلعب دور الفتاة المتجسّسة. كلما فكرت برودريغو، تيار قوي يجتازها في كلّ كيائها. وكلما تحلّلت ردة فعله وقعت في هاوية من القلق الشديد. فجأة اخذت قراراً نهائياً. ستبوح له بكل شيء حين يعود، وذلك من اجل راحة ضميرها وهدف مهمتها. وفي حال اراد مديرها متابعة القضية، لن يجابه هذا الأخير رفضاً قطعياً من قبل رودريغو، نتيجة اكتشافه خدعتها.

صحيح ان هذه الجزيرة تبدو مركزاً رائعاً للإقامة، لكنها كانت تمنى ان يكون هذا المكان بعيداً عن السياحة العالمية والنوادي

الديلية...

ولما عادت الفتاتان سألتها لوريل:

- هل قضيتها نزهة جميلة؟

أجابت كارلوتا:

- نعم. الماء رائعة. لا أستطيع انك لا تعرفين ركوب الخيل.

فصحكت ايفون في سرّها وقالت:

- آه! لكن لوريل لا تجهل ذلك كلياً. لقد سبق وامتنعت حصان

الكونت مرّة.

- آه، صحيح؟

- وكان رودريغو معها!

نظرت لوريل الى ايفون نظرة قاسية، فاعتذرت، هذه الأخيرة

قائلة:

- آه، عفواً! لم أكن أتوي ذلك. انها مزحة، يا كارلوتا. لن

تمنّي لوريل حصان الكونت، مهما كلف الأمر.

قالت كارلوتا في ريبة:

- بصراحة، أنا لم أفهم المزحة، تماماً!

- وهل هذا ضروري؟ هل سبقي هنا حتى المساء!

وعلى مائدة الغداء، اظهرت كارلوتا عن برودخيال لوريل، لكنها

لم تفرح عليها الاسئلة. ثم اختفت بعد ذلك مع ايفون. ولم ترهما

لوريل الا في المساء حيث بدتا كأنها تخططان لمؤامرة ما.

وبينما كانت لوريل تستعدّ للنوم، دخلت ايفون الى غرفتها

وراحت تعبث بمساحيق الزينة الموضوع على المنضدة وتقول:

- هل بإمكانني استعمال بعض المساحيق من عندك؟

- آه!

نظرت ايفون في المرأة وراحت تضع المسحوق المبال على وجهها
ثم قالت:

- لوريل... .

- نعم؟

- هل بإمكانك ان تعطيني بعض المال؟

- هل انت مفلسة؟

- آه... لقد اشترت اليوم قبة من القش، كما اشترينا كمية
كبيرة من البوظة.

قلبت لوريل جبينها وقالت:

- والدك اعطاك مبلغاً عتراً من المال، ومن المستحيل ان تصرفيه

كله، في هذا المكان المعزول عن العالم.

- آه، المال يصرف بسرعة خلال العطلة. وهذا امر معروف كلياً.

لا تنظري الى هكذا، يا لوريل. لم اصرف كل ما معي من مال. لكن
كارلوتا تريد ان تقوم بنزعة غداً ولا اريد ان اكون مفلسة برفقتها.

- اي نزعة هذه؟

- سنأخذ الباخرة.

- لكن، الى اين ستذهبان؟

قالت ايفون بعدما جلست على حافة السرير:

- آه، لوريل، لا تسبني لنا المشاكل. نمل هنا حتى الموت.

وكارلوتا تعرف جيداً الى اين تذهب.

- لا اشك بذلك. لكن... هل دونا لوزا علم بذلك؟

- ربما. سنذهب غداً... الى الجزر المكتظة بالسكان. آه، كم

ستكون رحلتنا ممتعة!

- لكن، لا يمكنكما ان تعودا في النهار نفسه. تذكرني بأننا قضينا

خمس ساعات في البحر من لاس بالماس حتى وصلنا الى هنا.

- اعرف. ولهذا السبب اريد بعض المال. سنتام هناك ونعود في

اليوم التالي. ولا اريد ان ادع كارلوتا تدفع عني اجرة الفندق.

ارجوك، يا لوريل، لا تكوني قاسية. واندي اعطاك المال الكافي،

اليس كذلك؟

- هذه الرحلة غير واردة ولن اسمح بها. في كل حال، ليس قبل

عودة رودريغو.

- آه، كنت اعرف جيداً بأنك تنغصين الافراح وتعرقلينها كل

شيء سيفسد بسببك.

- بالعكس، اظن أنني سابعث كارلوتا عن بعض المشاكل، بتصرفي

هذا. اذهبي الى النوم الآن وانسي هذا المشروع.

نهضت ايفون حائفة وقالت قبل ان تصفح الباب:

- يا لوريل المسكين، لا تعرفين سوى النظام الضارم! انت متأخرة

قرناً بكامله!

هذه السخرية الوقحة من قبل ايفون جرحت شعور لوريل. لقد

طفح الكيل. كان دور كارلوتا في البداية والآن اصبح دور ايفون

منغصة الافراح! وماذا بعداً يا لها من مسؤولية كبيرة، عليها ان

تتحملها، تجاه فتاتين مراهنيتين شقيتين!

وفي صباح اليرم التالي، اضطرت الخادمة ان تأتي ثلاث مرات قبل

ان تتمكن من ايقاظ لوريل من نومها العميق. كانت الساعة

التاسعة. فقالت الخادمة بخليط من الاسبانية والانكليزية:

- أنا آسفة لايقاظك. ومناسفة لـ...

- لا تخجلي، ارجوك.

لوريل الغلظة غلظتي... هل فهمت، يا آسة؟

- لا تقلقي، يا ابنتي. ماذا يمكنك ان تفعلي ضد فئتين عنيدتين،
غير ما فعلته، لمنعهما من تنفيذ هذا المشروع؟ لا يجب ان تلومي
نفسك أبداً.

- نعم. لكن أخاف من...

- مما سيقله رودريغو؟

- نعم.

- هذا أمر بسيط للغاية. لن نقول له ما حصل، شرط الا يعود
قلوبها.

- قال لي بأن غيابه سيدوم أسبوعاً على الأقل. والفئتان مستعودان
مساء الغد...

- لكن، يا صديقتي الصغيرة، كذبتنا عليك! الباخرة اليوم لا
تذهب الى لاس بالماس، بل الى ماديرا!

- الى ماديرا!

- نعم... ولن تعود قبل خمسة أيام.

شحب وجه لوريل وقالت:

- لكن ايفون لم تحدثني أبداً عن... عن...

لم تستطلع اكمال جملتها، غير قادرة أن تصدق بأن ايفون كذبت
عليها بملء ارادتها.

وبعد يومين سألتها الكونتيسة:

- تبتين منزوعة، يا صغيرتي، لماذا؟

- طال غياب الفئتين، وقد انشغل بالي.

- تتحملين مسؤولياتك بجدية، يا لوريل وتناولين كثيراً.

وأمام نظرات الفتاة المدهشة، اكملت العجوز قائلة:

- في سني ينظر المرء الى الأمور بعين مختلفة. لقد تربيت تربية

كلا، لوريل لم تفهم، لماذا كانت صوفيا المسكينة مرتبكة وخائفة.
وعلى مائدة الفطور كانت وحدها. لا شك ان الفئتين ذهبتا على
فلبور الخيل في نزهتهما الصباحية العادية. وعندما انتهت من احتساء
القهوة، صعدت الى غرفتها لتنسل يديها وتأخذ سترة، لعلّ دونا
لويزا أحبت التنزه خارجاً. فالرياح القوية تعصف حتى في أعالي
الأشجار.

فتحت دولاب خزانها وفوجئت بالفوضى داخله. وجدت حقيبة
يدها مفتوحة. كمية كبيرة من المال اختفت! شحب لون وجهها
واطلقت صرخة استغراب. أه، لا شك ان ايفون دخلت الى غرفتها
خلال الليل وسرقت المال. الفت نظرة الى غرفة ايفون وتأكدت من
شكوكها عندما رأت ان بعض ملابسها وحقيبتها اختفت. نزلت
لوريل من جديد الى البهو، فالتفت بما رآها التي أعلمتها بأن الكونتيسة
تريدها. لا شك ان دونا لويزا اكتشفت اختفاء الفئتين واستغلب منها
تفسيراً لما حدث. لكن العجوز استقبلتها بلطفها العادي وأضافت
نقول:

- تبتين مهمومة، يا صغيرتي؟ ماذا جرى؟

أخبرتها لوريل بما جرى، فصرخت الكونتيسة ملتفتة الى السماء:

- يا الهي! هل انت متأكدة؟

هزت لوريل رأسها بحزن، فصرخت العجوز قائلة:

- يا لكارلونا الشقية! ربما طلبت السيارة باكراً في الصباح...

لكن... الم يدلح عليها جوزيه الاسئلة؟

جوزيه؟ لا يسبح لنفسه ان يفعل ذلك. انه خادم لائق

ومعذب.

- أمل ان تجري الأمور بخير. اشعر بثقل المسؤولية.

قاسية وتعلمت احترام التقاليد والعادات. وريت أولادي بالطريقة نفسها. اما اليوم فالجيل الجديد ينتقد بعنف كل «ظلم» ويطالب بالحرية. ربما، أحسدكم أحياناً على هذه الحرية التي يتمتعون بها. مهما كانت نظريات الكونتيسة الفلسفية، فلوريل هي التي ستحمل مسؤولية غياب الفتاتين. اذا عاد رودريغو قبل عودة كارلونا وايفون لن ينظر الى الامور بتحرر كما تنظر اليها دونالويزا. اما، فيما يتعلق بغوردن سيرل، فماذا سيقول لو عرف بمغامرة ابنته؟ ولحسن الحظ، عادت الفتاتان قبل مجيء الكونت وصرخت ايفون وهي ترمي على عنق لوريل:

- آه، كانت رحلة رائعة! انا آسفة للذهاب سراً. هل تلوميني؟ انظري ما اشترينا لك... انها حقيبة يد مصنوعة من القماش المطرز الجميل.

اضافت كارلونا وهي تقبل خدّ دونالويزا:

- هذه زجاجة العطر لك، يا جدتي. انه عطرك المفضل.

كان العشاء حافلاً بما لدى الفتاتين من أشياء تقولانها عن رحلتها. وكانت دونالويزا تصغي اليهما بحماس شديد واهتمام.

ثم قالت:

- لدي صديقة في ماديرا تدعى السيدة بيريرا، هل تتذكرينها، يا كارلونا؟ زوجها كان يعمل في السلك الدبلوماسي، والان متقاعد ويعيش مع عائلته في هذه الجزيرة. للأسف لم تفكري بزيارتها.

- بل، فكرت بذلك. لكنني لم اذكر عنوانها. في المرة المقبلة، سنأخذك معنا، يا جدتي.

- يا الهي! وماذا بعد، يا مجنونة! اخشى ان... لا أحد عرف ما كانت تخشى، ودخل جوزيه بصمت وهمس

للعجوز. صمت الجميع نظرت الكونتيسة الى لوريل باندهاش ثم قالت:

- لوريل، انت مطلوبة على الهاتف.

باندهاش وقلق، نهضت لوريل معتذرة وتبعث جوزيه. هل يطلبها غوردن سيرل؟

هل جرى شيء ما لزوجته؟

ادخلها الخادم الى مكتب الكونت وأشار باصبعه الى الهاتف الموضوع على مكتب خشبي ثم اغلق الباب وراه من دون ضجة. حثت لوريل السماعه وهمست بصوت متزعج:

- لوريل دانواي على الهاتف.

سمعت ضحكة صغيرة وصرخ صوت الرجل:

- لا تخافي، يا لوريل! السماء لن تهبط على رأسك!

- رودريغو! لم... لم انتظر ان... اسمع عن اخبارك.

خارت قواها وجلست على الكرسي القريب منها وسمعته يقول بصوت ناعم:

- انا خجول من نفسي لانني لا استطيع الاهتمام بضيوفي كما يجب. هل كل شيء على ما يرام في فالديروزا؟

- نعم، شكراً.

- وجدتي؟

- انها جيدة وتنتظرك بفارغ الصبر.

- قولي لها بانني ساعود غداً مع عمتي كونستانس.

- حسناً.

بدأت الخطوط تشوش، بالكاد سمعت لوريل اسمها. ولبرهة قصيرة خافت ان تنقطع المخابرة. لكن التشوش زال فقالت:

- من اذن؟
- رودريغو.
- ماذا يريد؟
- يريد ان يقول بأنه آت غداً.
- هذا كل شيء؟ هل انت مغرمة به؟
- يا لهذه الفكرة! وماذا، اذا قلت لك، بأنه اراد ان أخبره بالتفصيل عن تحركاتكما، كارلوتا وانت؟
- وماذا بعد؟ هذا الامر لا يخيفني...
- أرى ذلك بوضوح... قولي الآن، كيف عرفت كارلوتا بان رودريغو لن يغير مشاريعه ويعود قبلها؟
- تلاوات عينا ايفون وقالت:
- كانت تعرف بأنه سيعود مع كونستانس فقبل مغادرتها اسبانيا رأت كارلوتا عمته التي اخبرتها بأنها ستحضر حفلة موسيقية في ١٨ الشهر، اي اليوم. وهكذا ادركت بأنها لن تعود قبل هذا التاريخ.
- نعم. لقد فهمت الآن. لكن لا أرى كيف ستخفي عنه، فعلته. سيفضب بكل تأكيد.
- رفعت ايفون كتفها وقالت:
- كارلوتا لا تخاف منه.
- صحيح؟
- تعرفين ذلك؟ أنها وريثة ثرية.
- بل، أعرف ذلك. لكننا ما العلاقة؟
- رودريغو يصرّ الا تذهب ثروة كارلوتا خارج العائلة. ولذلك سيتزوجها بعد سنة أو سنتين. ولولا ذلك لتزوج. هل تعرفين ما عمره؟

- آلو، آلو... .
- ما زلت على الخط... .
- هل لديك أمور تريد ان تطلبها مني؟
- كلا. لقد اعطيت أوامري لجوزيه.
- حلّ الصمت قليلاً ثم تابعت تقول:
- كنت قلقة لأن... .
- لأن؟
- لأن هذه المخابرة ستكونك مبلغاً كبيراً.
- ضحك بلطف وقال:
- اراك تخافين ان اصرف المال الكثير... .
- هذا طبيعي!
- بالنسبة اليّ هذا شيء جديد ولا أرى ان الوقت يمر، خاصة عندما أسمع صوتك الرنان.
- فرحت لوريل من هذا الكلام واحمرت ولم ترد، فتابع الكونت يقول:
- أحياناً أملّ من اصوات الاسبانيين القوية. لكن... لماذا هذا الصمت؟ اذن عليّ ان أسمع نصائحك وأوفر قليلاً. وداعاً يا لوريل، الى الغد.
- الى الغد.
- بدت السعادة تلفها وهي تعود الى الصالون. نظرت اليها الفتاتان بحشوية. ولما صعد الجميع الى النوم، دخلت ايفون الى غرفتها وسألتها:
- هل كان أبي على الهاتف؟
- كلا.

- كلا.

- عمره ٣٣ سنة. وحسب أقوال كارلوتا، لا يعيش حياة النساك.

حزنت لوريل على هذا الكلام ولم ترد، فأضافت ايفون تقول:

- لكن كارلوتا ليست متأكدة من رغبتها في الزواج منه.

- صحيح؟

- وكيف ألومها؟ رودريغو هو ملك هذه الجزيرة ولن يغادرها

ابداً. هل ترين كارلوتا مسجونة في هذا القصر بقية حياتها؟

- كلا، طبعاً... هل تعتقدين... بأنها تحبه؟

- الحب لا يدخل له هنا. الزواج هنا مصلحة لثلاث تذهب الثروة

خارج العائلة... ويانتظار ذلك نحب كارلوتا اثاره غيرة ابن خالها.

جلست لوريل في فراشها، حزينة تفكر بالحديث الذي جرى منذ

قليل. هل ان فتاة مستقلة مثل كارلوتا، تقبل بزواج مصلحة؟ اذا

قرر رودريغو الزواج منها، والتغلب على قلبها وعلى ثروتها، هل

نستطيع كارلوتا مقاومته؟

٩- بأي حال عدت يا عيد؟

ولما استيقظت لوريل من نومها في اليوم التالي، كانت عازمة على التفكير فقط بعملها وبعودتها المقبلة الى لندن. وبالرغم من نوابها واستعداداتها، صوت داخلي لم يكف عن تذكيرها بأن الكونت في طريق عودته الى فالديروزا...

ذهبت الفتانان في نزهتهما الصباحية الاعتيادية، على ظهور الخيل. وبقيت دونا لويزا في شقتها للاستراحة بانتظار قدوم أصحاب القصر.

تحضيرات العيد في ذروتها. فوق عربة جوزيه تعلق المصابيح على اشجار الحديدية وعلى الاعمدة المنتصبة قرب حافة جدران القصر. شعرت لوريل بأن لا أحد بحاجة اليها، فقررت القيام بزيارة كنيسة

النبع . حملت سلة الطعام التي احضرتها لها صوفيا واخذت طريق التلال .

الصباح كان رائعاً والبحر يلعب تحت سماء زرقاء خالية من أي غيمة . النسيم الخفيف الآتي من البحر يخفف من حدة الحرارة القاسية . صعدت لوريل التلال ببطء ، تتوقف من حين إلى آخر للتمتع بالمنظر حولها . وفجأة ، ظهرت امامها كنيسة صغيرة تقع في جوف الجبل ، في ظل غابة صغيرة من الصنوبر . بضع خطوات في الصخر المصقول تؤدي الى المغارة الواقعة في زاوية الكنيسة . في الواقع ، المغارة كناية عن شق واسع تنبعث منه المياه الشفافة كالكريستال . كان الجو في هذا المكان المعزول رائعاً وهادئاً . الصمت لا يقطعه سوى هدير النبع .

ولما خرجت لوريل من الكنيسة تسمرت لحظة في الساحة من شدة الاعجاب . امام عينيها تبرز الجزيرة كبساط من المخمل الأخضر فرش على البحر الأزرق . هنا وهناك ، نقطة بيضاء تدل على وجود بيت أو مزرعة . احياناً يسمع صوت راع وقطيعه على طرف الجبل ، أو طقطقة حوافر حصان يجر وراهه عربة . الى اليسار يبرز القصر المحاط بالحدائق الواسعة المتدرجة حتى الشاطئ . أطلقت لوريل زفرة عميقة ثم تناولت سلة الطعام وراحت تبحث عن زاوية مظلمة للغداء . . .

وبينا كانت العصافير الصغيرة تنقر فتات الطعام ، راحت لوريل تتأمل حاملة المنظر الخلاب امامها ، وهي نصف ممددة على بساط من العشب . لكن ، سرعان ما أدركت الواقع . فاذا احتلت السياحة هذه الجزيرة ، ماذا سيحل بالهدوء الكبير في هذا المكان الساحر ؟ فجأة ، انتفضت . في الأفق الفارغ ظهرت نقطة صغيرة . راح

قلبها ينبض بسرعة . الباخرة تسير في المياه الزرقاء ، مقتربة من المرفأ . واذا اصغت لوريل الى قلبها لأنطلقت كالمجنونة نحو الرجل الذي يعني كل شيء لها . . . لكن للأسف ، ليست سوى غريبة في فالديروزا . وليس من اللياقة ان تعكر صفو الاجتماع العائلي . لذلك اخذت وقتها وعادت في الطريق المتعرجة . وتراءى لها بهو القصر منعشاً ، بجانب الحر الخارجي . المكان هادئ . وضعت منشفتها ومندبلها ونظارتها في المدخل ، ودخلت الى المطبخ لوضع سلة الطعام . ولدى عودتها سمعت حديثاً آتياً من الصالون . ترددت في المرور امام الباب المفتوح عندما ظهرت منه كارلوتا ، غاضبة ، حانقة . ولما رأت لوريل ، توقفت مكانها وقالت بلهجة منتهمة :

- آه ، هذه انت ! انت من اخبر كل شيء ! ألا تحجلين من التدخل في امور لا تعنيك !

- كارلوتا ! ارجوك ان تسكتي !
ظهر رودريغو بدوره وقال :

- ستعتذرين فوراً !
- هذا امر غير وارد اطلاقاً !

امسك رودريغو بذراعيها وقال :

- كيف تجرؤين على اتهام ضيفتنا مجاناً ؟
- أنا أعرف جيداً بأنها جاءت الى هنا للتجسس علي .

- انت مخبطة كلياً . ليست لوريل من اخبرتني عن رحلتك السرية .

- لكن من اذن . . . لا أرى من يستطيع ان . . .
- الظاهر ان كلمتي لا تكفيك . ولا شك بأنك نسيت بأن العالم صغير . . . أمس ، التقيت مصادفة بآل بيريرا في مدريد . . . لقد

لمحوك مع صديقتك في ماديرا. ونأسفوا لأنك لم تزورهم. الآن،
ستعذرين من لوريل. وأنا انتظر ذلك منك.

نظرت كارلوتا الى لوريل نظرة استياء وقالت:

- اذن، بإمكانك الانتظارا لست أنا من طلب المجيء الى هنا

لاجد مثل هذه الجاسوسة القذرة!

- كارلوتا! رودريغو!

ظهرت دونا لويزا تتبعها امرأة قصيرة وسمينة، شعرها رمادي.

ثم قالت:

- الا تخجلان. من الصراخ هكذا؟

قال رودريغو بجهد كبير:

- اعذريني، يا جدي.

- في المستقبل، لا أريد ان اسمع عراكاً كهذا، هنا. ضيوفنا

ميستاؤون من ذلك. كارلوتا، لدي كلام معك. انتظريني في

الصالون الصغير.

ابتعدت الفتاة الاسبانية بسرعة ومن دون احتجاج. امسكت دونا

لويزا ذراع ابنتها وسارت ببطء بعدما رفعت رودريغو بنظرة متعالية.

خلال كل هذا الوقت، بقيت ايفون على حدة. لكن لوريل

لاحظت انها تكبت رغبة ملححة في الضحك، فتقدمت منها، لكن

رودريغو قطع عليها الطريق وقال لها وهو يشير الى باب مكتبه:

- لدي شيء أقوله لك، يا لوريل. هل بإمكانك ان تعطيني قليلاً

من وقتك؟

وما ان أغلق باب مكتبه وراهه حتى قال:

- لماذا لم تنفذي أوامري؟

- أوامرك؟ أي أوامري؟

- هيا، يا لوريل. لا تتصنعي السذاجة. تعرفين جيداً ما أريد
قوله. كيف تجرات وتركت كارلوتا تخالف أوامري؟

- لكن لم... لم...

- ألم تسمح لي بالذهاب؟

- طبعاً لا!

- اذن، كيف تمكنتا من الذهاب؟

- هل تعتقد بأنه من السهولة ان تفرض سلطتك على فتاتين

مراهقتين؟ نحن لا نعيش في القرون الوسطى! ليس لأنك رئيس

العائلة... وبأنك، ذات يوم، سيكون لك الحق ان تفعل ما...

ترددت لحظة فسالها بسرعة:

- الحق ان أفعل ماذا؟

- ان تحدد مستقبل كارلوتا. بانباغك تقليد بال يجعلك لا تكثر

ببواطف الآخرين. الا يمكنك مرة واحدة ان تبدل جهداً وتضع

نفسك مكانها؟ لماذا لا تحاول ان تنصحها بدلا من معاملتها دائماً

وكأنها ما تزال طفلة؟

- كيف انصح فتاة شقية وعنيدة مثلها؟ هل تمزحين واذا اسمرت،

في الكلام بهذه اللهجة ربما سأضطر الى النسيان بأنك ضيفة عندي

وأعاملك، انت ايضا، كما تستحقين. لتتوقف عن المناقشة.

بغضب، ارتمت على الباب الذي كان يفتحها لها وقالت بحماس

باقم:

- لكنني لم أنته بعد من الحديث، أنا أرى بأن غلطتي الكبيرة كانت

عندما قبلت ضيافتك. آه، كان يجب علي ان أتق بنظريتي الأولى

فيك... حين عرفت بأنك رجل بارد، قاس ومتعال، وبأنك لا

تبالي ببواطف الآخرين، وبأنك اعمى حيال التقاليد البالية! آه كم

اشفق على كارلوتا المسكينة!

- هل افرغت ما عندك؟

ارتجفت لوريل امام نظرات الكونت القاسية وقالت بصوت

حازم:

- نعم، ولم يعد لدي ما اضيفه.

- وأنا ايضا ارتكبت خطأ في الحكم عليك.

- آه... .

- نعم. لقد وثقت بك وما كان يجب ان أنكل عليك.

لم تذكر لوريل ابدأ كيف تمكنت من الخروج بعد هذه الشتيمة

القاسية، ولا كيف استطاعت التحلي بالجرأة والبرود لاكمال هذا

النهار الطويل.

وفي ذلك المساء كثر المدعوون الى العشاء ومن بينهم قس الجزيرة،

الدون اماديو ومعلم المدرسة السيد الفاريس وزوجته، والجراح

الالمانى الذي قرر التقاعد في هذه الجزيرة. العشاء كان لذيذاً

والحديث خصباً لكن لا شيء مكن لوريل من التوقف عن التفكير بما

حدث قبل قليل.

وبعدما انتهت هذه السهرة الطويلة، شعرت لوريل بارتياح كبير

وهي تستعيد وحدة غرفتها. ويعينين تحرقها الدموع دخلت الى

سريرها محاولة اقناع نفسها بأنها تكره رودريغو، لكن من دون

جدوى. اغمضت عينيها، لكن الصور ظلت تلاحقها، ذكريات

ذراعي رودريغو وهي تلتف حول عنقها وحنانه الناعم والقوي في آن

واحد. . .

مع الفجر، بدأت الحركة حول القصر. الاولاد يقطفون الزهور

العطرة لتزيين العيد. في الحادية عشر بدأت الأجراس تفرع بفرح

داعية الى حضور الصلاة الاحتفالية.

كانت لوريل تنتظر في الساحة، رائحة بثوبها الابيض البسيط.

شحوب وجهها الخفيف يضي على ملامحها بريقاً ليلاً يجعلها حنونة

وجذابة.

عندما توجهت الى المائدة توقفت وترددت لحظة على عتبة الباب.

لكن رودريغو نهض وانحنى ببرود. فأشارت لها دوناً لوريزا بالدخول

قائلة:

- تعالي، يا ابنتي. تعرفين الآن باننا نضج من لا شيء!

- المعذرة، لقد تأخرت.

قال رودريغو بتهذيب:

- لا، كلا نحن جئنا باكرين.

جلست لوريل مكانها وران صمت طويل. وبابتسامة ساخرة،

قالت كارلوتا:

- لا شك ان لوريل اعتقدت باننا كنا على وشك ان نتضارب

بالأيدي، بينما كنا في الواقع نتحدث عن الطقس.

قال رودريغو:

- أولاً، لم نكن نتحدث عن الطقس... .

قالت دوناً لرودريغو:

- نعم، بالفعل. انا مصرة على حضور الاحتفال والذهاب الى

الكنيسة.

قالت العمة كونستانس:

- لكن، يا أمي، فكري بالجمهور والازدحام والحرق... هذا اكثر

مما بإمكانك تحمله. في السنة الماضية، لقد... .

- كفى! سئمت الدلع، مثل عجوز مسكينة فقدت وعيها!

رفعت ذقنها بعناد وقالت:

- اذن، رودريغو، هل تصطحبني او سأطلب من جوزيه ان يخرج السيارة القديمة.

قال رودريغو منحنياً امام جدته:

- لا حاجة لذلك، يا جدي. انا تحت أوامرك.

ولما رأت لوريل الكونت يساعد جدته بلطف في الجلوس داخل السيارة، لم تكف عن التفكير بظلمه تجاهها. لقد فرض عليها مسؤولية كبرى، ثم راح يتهمها بالفشل. في أمر لا ارادة لها فيه. ولحسن الحظ تمكنت لوريل من عدم التفكير بحزنها امام الفرح العام خلال هذا النهار الكبير المليء بالألوان. الجميع في الشوارع، بتياب الأحد: الرجال بالبيزات السموكينغ السوداء والفتيات بالابيض، والنساء بالتياب الملونة.

الكنيسة كانت تعج بالناس والحر لا يطاق. الشموع تضيء المنصة العذراء المرتدية ثوبها الاحتفالي، بألوانه الزرقاء، الوردية والفضية.

اخيراً جاء الوقت الاحتفالي الذي ينتظره المصلون بفارغ الصبر. ويبطء خرج الناس من الكنيسة والمنصة بمجمولة على مبرير أبيض، ذهبي ويفيض فرحاً وراح الأولاد يضعون باقات الزهور. وبدأ الاحتفال بالنشيد الوطني، داخل المدينة، ثم على طريق التلال.

ويسرعة اختفت كارلوتا وايفون بين الجمع. اما لوريل فلم ترفع نظرها عن قامة الكونت المشوقة. احياناً كان يلتفت الى الوراها ويلقي نظرة الى الموكب، كأنه يبحث عن شخص معين. وفي كل مرة كانت لوريل تحاول الابتسام او التحدث مع الذين قربها.

المكان صغير لا يقدر ان يحتوي جميع المصلين. بقي القس خارجاً، تحت السماء الزرقاء وتم الاحتفال ببساطة متناهية. بعدها

تجذب السياح والآن، بدأت تعددين الرحلات السياحية، أليس كذلك؟

تلعثمت لوريل وقالت:

- أنا... أنا لا أفهم ما تقولينه.

- بلى، تفهميني جيداً. ولا حاجة لنفي ذلك. في كل حال لم يعد ذلك سرّاً لأحد. لماذا ترسمين اذن خرائط الجزيرة ولماذا تدوينين جميع التفاصيل أليس والد ايفون مديراً لمكتب السفريات وأنت مساعدته؟ شعرت لوريل بدواخ ويغموض وسمعت تعجب الكونت.

أضافت كارلوتا تقول:

- نعم، هذا صحيح، يا رودريغو. انت لا تعلم بالأمر. انهم يريدون جلب السياح الى هنا، وبناء الشقق المفروشة والمطاعم الفخمة والنوادي الليلية. سيأتي السياح بالآلوف ليدمروا كل شيء، كالجراد. وأنت لم تكن تعرف ذلك، اسألها انت بنفسك. لا يمكنها انكار ذلك. هذه مهنتها.

- هل هذا صحيح؟

رجعت لوريل الى الوراها امام نظرات رودريغو القاسية. هل ايفون هي التي افصححت لكارلوتا عن سبب وجودهما هنا؟ لكن فجأة، وكالبرق، فهمت كل شيء... المنشفة التي تركتها في المدخل ذلك اليوم...

- كلا، دعني أشرح لك. لم انو أبدأ ان...

- الحقيقة. اريد الحقيقة. هل تعملين، نعم، ام لا، عند هذا... هذا...

قاطعته كارلوتا، فرحة من نفسها:

- يدعى غوردن سيرل وشركته تدعى: «السياحة الكوكبية».

قال كأنه لم يسمع ما قالته ابنة عمته:

- هل ستجيبيني؟

- نعم، لكن... أنا...

- حسناً. لست بحاجة ان أعرف المزيد. لقد خدعتني...

لقد...

وضعت لوريل يدها المرتجفة على ذراعه وقالت متوسلة:

- أرجوك، اسمعني. لقد...

ابتعد عنها وقال بغضب:

- لا أريد ان أسمع شيئاً. يكفي ما كذبت عليّ، حتى الآن.

اعتقد بأن عودتك الى لندن اصبحت اكيدة وبسرعة. وجوابي هو نفسه، الذي اعطيته لشركة من هذا النوع. ابدأ، لن ادع السياحة لتطور هنا. مساءً الخير.

وبسرعة جنونية، غادر الكونت واختفى داخل القصر.

وجدت لوريل نفسها وحيدة على الشرفة، وسط فرقعات معادتها

الدمرة. حولها العيد ما زال مستمراً...

١٠- سهرة لم تحصل

النهار الأخير، الذي امضته لوريل في فالديروزا، سيبقى عفوراً في ذاكرتها الى الأبد. ومنذ ذلك الحين مضت ثلاثة أسابيع، استعادت لوريل حياتها اليومية الاعتيادية، لكن قلبها ما زال حزيناً. وكلما فكرت بيومها الأخير في جزيرة المصير، تتذكر الساعات الطويلة التي قضتها بين خوفها من مجابهة رودريغو وبين رغبتها في رؤيته، ولولمة واحدة.

اخيراً، غادرت القصر من دون ان تراه ومن دون ان تستطيع شرح ظروفها له. كان قد غادر الجزيرة منذ الفجر، مصطحباً كارلوتا معه. ترك لضيفتيه كلمة لطيفة، مهذبة طالباً منها عدم التردد في استعمال الهاتف لابلغ ذويها عن وصولها، مشيراً بأن جوزيه

وخلال العشاء، كانت لوريل تلوم نفسها على كل ما حدث. لماذا لم تحدث رودريغو بالحقيقة منذ وصولها الى القصر؟ ولماذا وقعت في حب هذا الارستقراطي الرائع والكريم في آن واحد؟

اوقف غوردن سيرل سيارته قرب المكتب ونظر الى لوريل وقال - ما بك يا لوريل، حزينة هكذا؟

هزت رأسها من دون ان تنطق بكلمة. فقال:

- هل ما زلت تفكرين بالمهمة الفاشلة، في جزيرة المصير؟

ومن جديد هزت رأسها. فأضاف يقول:

- اراك مضطربة ويائسة منذ وصولك لا حاجة للتوتر، يا لوريل.

انسى كل ما جرى وحصل، حتى الآن.

ان تنسى ما حصل، كيف؟

- انها مهمة خاسرة، منذ البداية. اقطعني عليّ وعداً بعدم التفكير

فيها من جديد. هل اخبرتك ايفون عن الحفلة التي ستقيمها في مناسبة عيد ميلادها؟

- نعم. وكنت على وشك ان اسالك، ماذا يمكنك ان اهديها، في

هذه المناسبة.

قال مازحاً:

- اذن، قبل أي شيء، تحب ايفون، كل ما يتعلق بالعطورات!

ابتسمت لوريل، فأضاف مديرها يقول:

- لاثنتها كبيرة، تمتد من جوارب كريستيان ديور الى سيارة

مكشوفة، مروراً بالة تسجيل هابي فاي، تحلم بها منذ دهور.

توقف لحظة ثم أضاف يقول:

- بصراحة، أصبحت سهلة أكثر وذات مزاج ثابت، منذ

رحلتكما. وشفاء زوجتي له تأثير كبير في هذا التغيير أيضاً.

سيهتم بحفائبيها ويايصالهما الى المرفأ.

دونا لويزا وحدها تمت لها رحلة سعيدة. وكادت لوريل ان تذرف الدموع لدى رؤية وجه العجوز الحزين والمتأسف.

وخلال العودة، تمكنت ايفون من رفع معنويات رفيقتها عندما

اخبرتها هذه الأخيرة بما جرى، من غير ان تلومها. كان غوردن سيرل

بانظارهما في المطار. باشرت ايفون بسرعة في سرد تفاصيل مغامرتها

الفاشلة، غير تاركة للوريل المجال في الكلام.

- آه، كيف تمكنتما من دخول القصر؟ ان تدعيا اليه أمر خارق.

أجابت ايفون:

- هذا بفضل سحرنا الكبير، طبعاً.

ولمارات تعبير لوريل المتقلص، خففت من حدة لهجتها وقالت:

- في الواقع، حدثت للوريل مغامرة غير مفرحة، بعد قليل من

وصولنا الى الجزيرة. والكونت هو، بنفسه اخرجها من تلك الورطة.

وراحت ايفون تخبر والدها بتفصيل ما جرى، مصرة على عدم

اخباره الدور المتعلق بها. فسأل غوردن سيرل مسكرتيرته بنبرة

شكوكية:

- هل كلام ايفون صحيح، يا لوريل؟

- نعم. آه، يا سيدي، افسدت كل الخطط، بوجودي هناك...

- لكن، لا يمكنك ان تفعل المستحيل. ارجوك، لا تخزني.

اصطحبها غوردن سيرل الى مطعم جيد بعدما مر الى المنزل واخذ

زوجته التي شفت تماماً. وخلال الطعام راح يتحدث عن مشروع

آخر، من النوع نفسه، لكن في جزر الكاريبي. ولم يعد واردا

التحدث عن جزيرة المصير، اذ ان غوردن سيرل لا يحب اضاءة

الزفت في التأسفات غير المجدية...

قالت لوريل بلطف:

- أنا سعيدة جداً لسماع هذا الكلام.

- أنا مدين لك بالكثير، يا لوريل. وابنتي تحبك كثيراً. أمل ان

تبقى صديقتها.

دخل الى مكتبه، تاركاً لوريل حاملة. مشاكل مديرها العائلية

انحلت. آه، ماذا عن مشاكلها هي؟ ضميرها ما زال يطاردها وقلوبها

ينزف من جرح لا دواء له. والآن، ماذا بإمكانها فعله؟ لا شيء.

الشر قد حصل. بعد عودتها، بأيام قليلة، بعثت لوريل برسالة الى

رودريغو، معذرة عن خداعها له، شاكرة له، استقباله الحميم

وضيافته الودودة. وقبل ان تضع الرسالة في البريد فكرت كثيراً. هذه

الرسالة لن تغير شيئاً. لم يخف رودريغو ما يفكره تجاهها، لكن عل

الأقل فعلت واجبها. ولم يعد أمامها الآن سوى محاولة النسيان،

وهذه أصعب المراحل.

ربما كانت تتأمل رداً على رسالتها... لكن الأسابيع تمر وأملها

يضمحل. لم تعد تجد طعماً في هذه الحياة. مع العلم بأنها تعرفت على

وجوه جديدة وأصبح لديها اصدقاء من جديد، بعضهم دعوها

للخروج، لكن لا أحد نجح بعد ان يخرجها من نكتتها وتحفظها.

وذات يوم، في أواخر تموز (يوليو)، جاءت ايفون الى المكتب

وصرخت للوريل قائلة:

- بدأ بالي يشغل عليك! الظاهر انك لم تستفيدي من هذا

الصيف الجميل... ماذا جرى؟

- لا شيء. العمل كثير والوقت قليل.

- لا تبالغي. والذي ليس صارماً الى هذه الدرجة ليرهقك

بالعمل!

- أنا لم أقل هذا الكلام.

- اسمعي، يا لوريل... كوني صريحة. هل بسببي أنا؟ هل

وجودي قربك يضجرك؟ لقد تصوّرت بأنك فرحت عندما دعوتك

الى قضاء عطلة الأسبوع في قريتنا...

لم ترد لوريل على الفتاة، لأنها لم تفهم ما قالته. تابعت ايفون

الكلام مضيفة:

- لقد... لقد تذكرت فجأة بعض المضايقات والكلام البذيء

الذي استعملته معك هناك، في الجزيرة... ربما ما زلت تلوميني

على ذلك؟ لم أكن أذري ما أقوله، لأنني كنت اجتاز مرحلة صعبة

...

- لكن، يا ايفون، كيف تفكرين هكذا... لم تزعجيني قطعاً

بل فرحت كثيراً بعطلة الأسبوع التي قضيتها مع عائلتك.

- لكن، ما بك اذن؟ هل تشاجرت مع فيليب؟

- فيليب؟

كادت لوريل ان تنفجر من الضحك. لم تلاحظ قبل الآن، بأنها لم

نفكر به لحظة واحدة منذ عودتها. ابتسمت بسخرية. اذا كانت

تستطيع ان تنسى الرجل بهذه السهولة، فالأمل ما زال وارداً اذن.

- كلا. الأمر لا يتعلق بفيليب. في كل حال، كيف عرفت

بوجوده؟

- بواسطة ابي. لقد ذكره مساء أمس، وأخبرنا بأنه كان يتصل بك

الى المكتب أو يأتي لاصطحابك. ابي مستغرب لأنه لم يعد يراه.

- لقد مضت ثلاثة شهور على افتراقنا.

- حسناً. لن افتح هذا الموضوع بعد الآن، ما دامت القصة

قديمة. أوه... اسمعي، يا لوريل، جئت اسألك اذا كنت حرة هذا

المساء. أعرف بأن الوقت قصير. . . لكن هل تذكرني تشارلز؟
أعرف بأنك لا تبالين به. . . لكن شقيقه ريتشارد عاد منذ قليل من
مصر، وفتح صالة رقص جديدة، من الطراز الحديث. هذا المساء
سنذهب الى حفلة تقام في صالته واريدك ان تأتي معنا وتتعرفي على
ريتشارد. . . مارك وساندرا آتيان أيضاً.

- آه، آه، لقد تغيرت كثيراً، يا ايفون واصبحت تفكرين بالغير.
- اذن، هل تأتيين معنا؟

- حسناً. وماذا سارتدي: الجينز ام ثياب السهرة؟
- آه، انصحك بارتداء الفستان الموسلين الذي جئت به ليلة حفلة
عيد ميلادي. انه رائع. أراهن بأن ريتشارد سيقع في حبك بسرعة.
ذهبت ايفون الى المزين بعد ان وعدت بالمرور الى منزل لوريل في
الثامنة. وكالعادة، عادت لوريل من عملها في الخامسة، فرحة لفكرة
الخروج في المساء، فربما تستطيع ان تنسى العيون الحنونة والعناق
الشغوف لمن تزال تحب حتى الآن.
كانت لوريل تستعد للدخول الى الحمام، عندما رن الهاتف.
خفق قلبها عندما سمعت صوت ايفون، خشية تأجيل السهرة أو
الغانها.

- اتصل بك لأعلمك بأنني سامر بك باكراً، أي في الساعة
والنصف. والذي بحاجة الى السيارة، فسيوصلنا الى منزل ساندرا
حيث سنلتقي ببقية المدعوين. هل ستكونين مستعدة في هذا الوقت؟

- نعم. لا تقلقي. لن أتأخر.

- حسناً. الى اللقاء القريب.

أعدت لوريل الساعة ونظرت الى ساعة يدها. ما زال أمامها
متسع من الوقت لتستحم وتزين وجهها فتبدو جميلة وأنيقة. دخلت

الحمام وتمتعت بالماء الساخن والصابون الخاص المزوج بالعطور
الزاهية. ثم ارتدت مئزرها الحريري ووضعت ملابسها على السرير
وجلست أمام طاولة الزينة لتلون اظفارها قبل ان تزين وجهها. وبعد
عشر دقائق، فتحت الماء البارد فوق أصابعها بغية تخفيف الطلاء
بسرعة. وفي تلك الاثناء سمعت جرس الباب. انتفضت: مستحيل
ان تكون ايفون، فالساعة ما زالت السابعة. اسرعت الى الباب
قائلة:

- لكنك جئت باكراً جداً، يا ايفون! لم استعد. . . آه.

لم تكن ايفون. أصابع لوريل الباردة ابتعدت عن مقبض الباب.
اسندت نفسها الى الحائط، وحدقت مرتجفة بزائرها. هذا مستحيل،
انها تحلم!

- مساء الخير، يا لوريل.

الشبح تكلم.

همست بصوت مخنوق:

- رودريغو. . .

نظر اليها مفصلاً وقال:

- الظاهر انك فوجئت جداً لرؤي بي! لقد جئت رداً على رسالتك.
لكن أخشى ان أكون غلطاً باختيار الوقت اعذريني. سأعود في وقت
لاحق.

كاد يبتعد عندما خرجت لوريل من حالة الذعر التي اصابها منذ
وصوله ومدت له يدها قائلة:

- لا، لا ترحل. . . لم. . . لم أكن أتوقع ان. . . ان. . .

وذابت في نظرة رودريغو السمراء التي تصورت بأنها لن تراها بعد
الآن. تسمر الكونت لحظة على عتبة الباب، متأملاً كيف تلف حولها

المثزر الحريري فسألها:

- هل تثقين بي؟

تمكنت من القول بصوت منقطع:

- وكيف لا...

صفق الباب وراءه وقال:

- في بلادنا، لا يحق للرجل ان يرى خطيبته في وضع كهذا، وكيف

الاحرى اذا كان وحده معها...

اجابت بصوت مطمئن.

- أنا لست خطيبتك ولا أسبانية. في كل حال، كنت استعد

لارتداء ملابسى. اذا كان باستطاعتك انتظاري لحظة... لن أطيل

غيابي...

تقدم منها وقال:

- كلا، يا لوريل، انتظري. قولي، لماذا كتبت لي؟

- لماذا؟ ربما لأنى شعرت بالذنب.

- هذا كل ما في الأمر؟

- اهذا لا يكفي؟

- كلا.

- اسمع، يا رودريغو: حاولت افهامك في رسالتي بأنني لم أكن

انوي قطعاً ان اخدعك. الظروف كانت ضدي في البداية. ثم،

فات الأوان، كنا قد اصبحنا في فالديروزا و...

- واعتقدت بأنني غير قادر على سماع الحقيقة، أليس كذلك؟

- نعم، كأنني أملك موهبة اغضابك. ليلة العيد، عندما حاولت

ان اشرح لك، لماذا رفضت الاصغاء اليّ، لحظة واحدة؟ اكنفت

بالنظر اليّ بترفع كأنني...

انقطع صوتها ببيكاء مكبوت، ثم انتهت كلامها بنبرة شاكية:
- بعد ان دعيتنا الى القصر بهدف معين، طردتنا منه وكأننا غير
صالحات... هذا ما فعلته!

- حسناً، لكن ألم تكن لدي حجة مقنعة لافعل ذلك؟ لقد تجاوبت

معى بشكل واضح وملموس. لكن، هل كان هذا التمثيل جزءاً من

خطبتك؟ كنت أظنك بريئة لشدة ما كنت أحق. ولما أوضحت لي

كارلوتا الامور، لم أكن أصدق بأنك تستطيعين التمتع بالازدواجية.

- لكن، يا رودريغو، هل تصورت بأنى كنت كاذبة في عواطفى؟

ومن دون وعي، تمسكت بذراعه بوجه متوسل، ثم اخذت نفساً

عميقاً قبل ان تبدأ باخباره عن مغامرات ايفون وانتهت بالقول:

- بعد قصة الخاتم، بدأت ايفون تموت رعباً من اثاره غضب

والدها مرة اخرى. فتوسلت اليّ لثلاث اخبرك شيئاً، حتى لا تطرد من

الجزيرة وكى لا تضطر ان تخبر والدها عن مغامراتها مع رينالدو. اما

بالنسبة الى غوردن سيرل، حسب رأيي، لم يكن مهتماً بجزيرتكم

لسبب سياحي محض، انما بحجة ابعاد ابنته عن الجوّ العائلي، اعطاني

عملاً لتبرير هذه العطلة الطويلة التي قضيتها على حسابه. لم يظهر لي

عن تأسفه لفشل المشروع... لكن، يا رودريغو، لا تعتقد بأنني

حاولت خداعك من أجل الوصول الى غاييتي. أنا لست من هذا

النوع.

بصمت راح يحدق فيها مطولاً، ثم قال بلطف:

- لماذا لم تشرحي لي كل هذا، قبل الآن؟

ازاحت نظرها عنه ولم ترد فسألها:

- اكنت صعب المنال الى هذه الدرجة؟

- لم يكن سهلاً شرح الأمور لك.

كنزي، متى ستوصلين الى فهم الطباع الاسبانية؟ نحن لا نعرف
اخفاء شعورنا وعواطفنا، وغضبنا وفرحنا. كما لا نحقد على أحد.
انفجارنا مؤقت وسريع. ثم... ما أجمل السلام بعد العراك،
واللقاء بعد الفراق...

امسك يديها وجذبها اليه وقال:

- والآن، هل ستتصالح، مرة الى الأبد؟

ضمها اليه وعانقها بحنان وشغف. رفعت لوريل رأسها وقالت:

- وكارلوتا، الا تريد الزواج منها؟

- يا رب، نجيني منها! من الذي جعلك تفكرين بذلك؟ آه.

عرفت... جدتي! انسي هذه الأقاويل العائلية! وانت؟ كنت

تستعدين للخروج، اليس كذلك؟ مع من؟ مع رجل طبعاً! ستلغير

الموعد وبسرعة! انت، من الآن فصاعداً، لي وسأحاول دائماً الا

ادعك تنسين ذلك. هل هذا واضح!

- تقريباً... هناك امر صغير...

- اعرف. لم اطلب بعد يدك بصورة رسمية. اذن، يا لوريل...

هل تقبلين الزواج مني؟

- آه، نعم.

- قولي بأنك تحبينني.

- احبك، يا رودريغو. آه، يا حبيبي، كل هذا جميل، لكن

اخشى الا يكون حقيقة!

- ليس هذا حلماً، يا لوريل وسأبرهن لك ذلك.

ضمها اليه بشدة وعانقها مطولاً... ثم ارخى قبضته وقال:

- لكن واقعيين، يا حبيبي. لا يجب ان نستبق الامور، ادخلي الى

غرفتك وارتندي ملابسك والا سيطير عقلي.

- حتى عندما كنت بين ذراعي؟

هزت رأسها وران الصمت. فجأة قال رودريغو:

- لوريل، حبيبي، في بلادنا، مثل يقول بأن الصمت والوحدة

يؤذيان الانسان الاسباني حتى الموت. وهذا صحيح بالنسبة الي. لا

يمكنني ان اتخيل المستقبل من دون صوتك الناعم ووجهك الصغير

المثير الشرس والعنيد...

- كيف...؟

نظرت الى وجهه، لكنها لم تر فيه أي علامة سخرية، انما تعبيراً

جميل قلبها ينبض بسرعة. فقال لها:

- هيا، لا تنظري اليّ وكأنك تشكين بي وبك! الا تريدان

الافصح عن سبب ارسالك الرسالة؟ هل يهمل رأيي بك؟

- اظن انك تعرف تماماً بأن رأيك بي يهمني كثيراً.

- لكنني كنت أحب ان اسمع ذلك منك!

- منذ اسابيع كتبت هذه الرسالة، لكنك لم ترد عليّ.

- فأخر وصول رسالتك بسبب الاضرابات ولما وصلت الى

القصر، لم اكن هناك. كنت مسافراً من أجل التمويه والراحة... لم

أجد طعماً ارلونا للحياة منذ رحيلك. وعندما تمكنت، أخيراً، من

استلام الرسالة، قررت ان ارد عليها بشخصي... وها أنا هنا...

الا تشعرين برغبة في الحصول على الغفران؟

- أنا؟ الحصول على الغفران؟ منك؟ بعد ان شتمتني ونفارت اليّ

باشمئزاز، تلك الليلة. انت دائماً غاضب، دائماً مستعد للاتهام. الا

عندما...

- الا عندما لا اعود أتحمل كبت شعوري وانما لي تجاه ما كنت

توحيين به من رغبة جامحة... اليس هذا ما كنت تريدان قوله؟ آه، يا

لكنه لم يبعدها كلياً عنه، بل سألها بصوت مبحوح:

- هل تتذكرين لقاءنا الأول؟

احنت لوريل رأسها واحمرت وجنتاها فقال:

- التجربة والتقليد لا يتفقان. هيا، افعلي ما قلته لك.

- والآن قاصصتي؟

- طبعاً.

- أمل الا تسجنني طوال مدة خطبتنا وتمنعي من عنائك.

- نعم، اذا رفضت الزواج مني في الحال!

اسرعت في الانضمام الى ذراعيه لكن رن الجرس!

يا لها من مفاجأة كبيرة لايفون!

www.rewity.com/vk